د. مولود عشاق

تاريخ المغرب وإشكالية المصادر



2016

تاريخ المغرب

وإشكالية المصادر

د. مولود عشاق

تاريخ المغرب وإشكالية المصادر

الإيداع القانوني
2016 MO 2614

الردمك
978-9954-567-57-9

مطابع الرباط نت

Imprimerie
RABAT
NET

Av. Hassan II Cité Al Manar n° 6/3 - Rabat
05 37 20 46 32 - 06 61 20 37 76
imprimerierabatnet@gmail.com
www.imprimerierabat.com

لوحة الغلاف من إنجاز الطفل : محمد عشاق

إهداء

إلى إياد

تقديم

بقلم الدكتور بوجمعة رويان

تكتسي المصادر أهمية بالغة في كتابة التاريخ عامة، وتاريخ المغرب على الخصوص، وعلى الرغم من هذه الأهمية، فإن التعامل مع المصادر بصدد الخوض في موضوع ما يطرح على الباحث العديد من المشاكل المتعلقة بالندرة وصعوبة العثور على المصدر، ناهيك بما يرتبط بمصداقية المادة الواردة بين ثناياه، وإمكانية توظيفها. وقد يطرح مشكل آخر عندما تظن بعض الأيدي عن وعي أو عن غير وعي بقيمة المصدر، ومدى حاجة الباحث إليه فتبقيه في ظلمة الخزائن عرضة لعيث الأرضة ووكف السقوف.

وعندما يكتب الأستاذ مولود عشاق عن تاريخ المغرب وإشكالية المصادر، وهو الذي خبر كثيرا من تلك المصادر عن قرب، وكرع في العديد من ثناياها، سواء في أطروحته لنيل الدكتوراه أو في ما صدر له بعد ذلك من مقالات ودراسات. فإنه يضع بذلك أصبعه على مشكل يؤرق الباحثين ويجعلهم وجها لوجه أمام سؤال جوهري هل يمكن التصديق جملة وتفصيلا بما ورد في المصادر من معطيات؟ وهو سؤال يقتضي الجواب عنه ضرورة الانكباب على تلك المصادر وتفحصها بخبرة الدارس المدقق المتمعن المدرك لقيمة الكلمات والاصطلاحات وطرق التعبير. كما يتطلب الأمر إخضاع ما ورد بين دفتيها من معطيات للمقابلة والنقد. سعيا إلى اكتشاف خط تطور الأحداث. والبحث في تاريخ القوى التي غذت ذلك التطور وأمدته بعناصر الحيوية والاستمرار.

وربَّ سائل يسأل كيف الإستفادة من مصادر يتفيأ مؤلفوها ظلال الحكام، ويسخرون أقلامهم لذكر المحاسن وطمس المثالب، أين الحقيقة التاريخية وسط ركام من الأمداح المزجلة بالمكاييل الوافية؟ ويرد عليه آخر أين الحقيقة أيضا في سيل طام من الشتم والسباب، وبسط المثالب والنقائص؟.

ولا يجب أن يعزب عن بالنا ونحن نسوق هذا الكلام أن المؤرخ كحاطب ليل، قدره أن يقرأ كل شيء، لهذه الجهة أو تلك، مستنيرا بمقاييس النقد التاريخي متلمسا البحث عن الحقيقة في ما يقع تحت يده من المصادر، همه أن يبعث الأحداث من مرقدها، ويقدمها أقرب إلى الشكل الذي وقعت به.

فإذا أخذنا على سبيل المثال كتاب "روضة النسرين في دولة بني مرين" لابن الأحمر، فإنه على الرغم من إغراقه في وصف سلاطين بني مرين ومعجزات بعضهم يمكن متصفحه من معرفة الحالة السياسية يومئذ، والاغتيالات والتسميم...الخ، وإذا سقنا مثالا آخر هو كتاب "إتحاف أعلام الناس" لابن زيدان، وهو من مؤرخي السلاطين، ألفيناه يعج بالمعلومات التاريخية، ويطفح بالعديد من المعطيات، التي إذا صادفت باحثا حذقا استل منها ما لا يحصى من الفوائد التاريخية.

وتجدر الإشارة إلى أن الحماية الفرنسية، وما وفد في ركابها من علماء ومفكرين على مختلف تخصصاتهم، قد ساهمت بنصيب وافر في إخراج كثير من مصادر تاريخ المغرب التي ظلت ثاوية في زوايا الإهمال إلى زمن غير بعيد، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر "تاريخ الدولة السعدية" لمؤلف مجهول الذي أخرجه جورج

كولان سنة 1934، وسلسلة المصادر غير المنشورة لتاريخ المغرب التي باشر إخراجها الكونت هنري دوكاستري، وغير ذلك مما لا محيد عن الرجوع إليه لإنجاز بحث حول تاريخ المغرب.

ختاما لايسعنا إلا أن نرحب بمحاولة الأستاذ مولود عشاق هذه، ونسندها، ونعتبرها لبنة مهمة في الجواب عن بعض ما يلف المصادر من نقع الغموض، كما نرى في هذه المحاولة تجربة جادة في طريق إماطة اللثام عن مصادر تاريخنا وخبايا مظانه.

سلا الجديدة في 20-05-2016

مقدمة

مما لا جدال فيه أن الطفرة النوعية. والكيفية التي يشهدها الغرب في صيرورة البحث التاريخي تمتح ميكانزماتها من التطور الهائل الذي اخترق نتوءات حقل العلوم الإنسانية. فتطورت تبعا لذلك مناهج البحث وأدوات العمل، وتنوعت المجالات المتخصصة.

جديدة كالاهتمام بتاريخ الطقس والموت، والأشجار، والحيوانات وهلم جرا من الاهتمامات التي تصب برمتها في إطار تنويع، وتعميق أساسيات المعرفة حول الإنسان، والمجتمع...الخ، بل يمكن الجزم أن تضاريس الذاكرة الغربية بمشاهدها اليومية، وترسباتها الشعورية واللاشعورية قُتلت بحثا ودرسا وتأويلا، الأمر الذي انبلج عنه في نهاية المطاف "أزمة في الموضوع" حاول تخفيف حدتها، وتلطيف مخاضها بتوجيه الاهتمام نحو دراسة تاريخ الشعوب غير المكتوب والذي لم يكتب بعد، وهي عملية تستمد مرجعيتها الفكرية من الإستراتيجية بعيدة المدى التي توخت بعض المدارس التاريخية – مدرسة الحوليات – بلورتها على ارض الواقع.

فهل البحث التاريخي الغربي – أمام هذا التخصص المفرط، والتخمة النظرية والمنهجية – يقف فعلا على

عتبـــة الشـــيخوخة، أم أن الشـــيخوخة مجـــرد مخـــاض
لـ [illegible] اتجاها جديدا في أدوات البحث

و

س

ا

و

التالية:

* أيـــن التـــاريخ المغربـــي، والمـــؤرخ المغربـــي مـــن هـــذه المســـاهمات الجذريـــة التـــي اســـتهدفت تأصـــيل البحـــث التاريخي؟

* اســـتفحل فـــي غضـــون العقـــود الأخيـــرة الحـــديث عـــن بدايـــة تـــراكم كمـــي، و كيفـــي فـــي مســـار البحـــث التـــاريخي المغربـــي، هـــل لغـــة الأرقـــام قمينـــة بإصـــدار حكـــم نهـــائي وقـــاطع علـــى واقـــع البحـــث التـــاريخي وآفاقـــه المســـتقبلية؟ أم أن لغـــة الأرقـــام لا تمثـــل معيـــارا حقيقيـــا وســـليما لضـــبط مســـيرته، وحتـــى ولـــو ســـلمنا جـــدلا أن حجـــم الكـــم كبيـــر فهـــل هـــذا يعنـــي أن مجمـــل المرجعيـــات لهـــا نفـــس القيمـــة العلميـــة، ويحكمها نفس الحس التاريخي؟

* توشـــح مجمـــل المرجعيـــات المنشـــورة، والغيـــر منشـــورة عناوينهـــا بـ"مســـاهمة" هـــل هـــذا يؤشـــر موضـــوعيا أن ملامـــح. ومعـــالم الصـــورة لـــم تكتمـــل بعـــد. وأن تقاليـــد البحـــث العلمـــي لا تـــزال فـــي منعطـــف الطريـــق. وتتقلـــب بـــين مســـارات البحـــث عـــن هويـــة تاريخيـــة وطنيـــة. بمعنـــى آخـــر هـــل عمـــر حصـــيلة الاســـتقلال غيـــر قـــادرة علـــى وضـــع قـــاطرة البحث التاريخي المغربي على سكته الصحيحة؟

*تطفح افتتاحيات المؤرخين المغاربة بالدعوة الصريحة، والمضمرة إلى "إعادة كتابة تاريخ المغرب" فهل تعني مدلولات، وأبعاد العبارة أن تاريخ المغرب لم يكتب بعد؟ فماذا كتب منه؟ ومن يعيد كتابته، وبناء عناصره إذن؟

*تصب صيحات المؤرخين المغاربة في سياق الدعوة إلى قراءة تاريخ المغرب بعيدا عن الإسقاطات المجانية، والتأويلات الفضفاضة العائمة لدهاقنة المؤسسة الاستعمارية، ما هي طبيعة هذه القراءة؟

هل هي قراءة تتجاوز دوامة الزيف الاديولوجي، وتسعى إلى تكسير وتهديم المسلمات والمطلقات الاستعمارية؟ أم هي قراءة سجينة هذا الإطار المرجعي، ومن ثمة السقوط في فخ المسلمات والمطلقات بوعي أو بدون وعي؟

*يستشف من المحاولات الداعية إلى إعادة كتابة تاريخ المغرب أنها تروم تكوين أو بلورة "مدرسة" وطنية لكتابة التاريخ المغربي، هل حصيلة "التراكم" الحالي يخول إمكانيات الحديث عن مدرسة وطنية أمام خطاب تاريخي لا يزال يعيد إنتاج نفسه قلبا وقالبا؟ أم أن السعي إلى بلورة مدرسة وطنية مجرد أماني غارقة في عمق المستقبليات ليس إلا؟

*يستخلص من محاولات المؤرخين المغاربة تلك الدعوة إلى بناء، وترصيص خطاب تاريخي يتسم بالتنوع، والاختلاف، ويستمد أصوله وآلياته من صميم الواقع المغربي، مع الانفتاح طبعا على المنهجيات الحديثة التي أفرزتها تطور حقول العلوم الإنسانية، هل البناء، والانفتاح يتبلور بمعزل عن تحديث عقلية المجتمع ؟ أو

بكلمة أكثر وضوحا هل عقلية المجتمع تملك من وسائل التحدي والاستجابة ما يؤهلها لترسيخ مرتكزات بديلة في صيرورة الخطاب التاريخي المغربي؟

يجدر بنا بعد استجلاء بعض الميكانزمات المتحكمة في نسيج واقع البحث التاريخي بالمغرب تحديد وضبط

مورة

دون

الإمـ

بنيـ

إليه في حقيقة الامر مجرد فتح قوسين كبيرين حول أبرز المشاكل التي تطرحها المصادر التقليدية.

لا مراء في أن المصادر التاريخية القديمة تتباين قيمتها الافقية، وتتفاوت أهميتها العمودية، تبعا لطبيعة ومضمون، ونوعية المادة التاريخية التي يستقي منها، ويؤسس عليها المؤرخ فرضيات رواياته، ونسغ بنائه التاريخي.

بيد ان عملية التأسيس والبناء يخضع منطقها الداخلي لمعايير ومقاييس ترتبط ارتباطا عضويا بمسؤولية المؤرخ : فهناك عينة من المؤرخين نقلوا الاخبار عن مجموعة من الرواة والمؤلفين، ولم يذكروا أسماءهم، ولم ينسبوا اليهم كلامهم في كثير من الاحيان(1). ويأتي في مقدمة هؤلاء ابن ابي زرع الفاسي الذي برر ذلك في كتابه روض القرطاس قائلا "فألفت هذا المجموع المقتضب، انتقيت جواهره من كتب التاريخ المعتمد على صحتها، والمرجوعاليها، سوى ماورويته عن أشياخ التاريخ، والحفاظ، والكتاب، وقيدته عن الرواة الثقات الانجاب، وحذفت فيه الاسناد خيفة الاكثار

1- أسطوة تاريخ البطل

تتصدر ظاهرة تاريخ البطل معظم الانتاج التاريخ المغربي، حيث تعطى من خلالها للفرد الأولوية، والجبرية المطلقة، والأثر الحاسم في صيرورة الفعل التاريخي، إذ يتمظهر داخل نسق الحدث التاريخي كحقيقة ثابتة، ومسلمة يقينية بوصفه المركز والعقدة من شبكة العلاقات النشطة، الأمر الذي أضفى على منحنيات المتن المصدري خاصية مغايرة، ومسحة مميزة «عبارة عن سجل منقبي للخلفاء، والوزراء، والأعيان، فالخليفة عند المؤرخ السني هو ظل الله في الأرض، وهو ما يعني أن أحلامه وهلوساته، وأفعاله وتصرفاته تمتح نسغها ومسوغها من العناية والارادة الالهية، كما أنه الشخص الوحيد القادر على صنع التاريخ، والإمام عند الشيعة هو الذات المعصومة من الخطأ، التي لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها، وهو الشخصية الوحيدة المؤهلة لقيادة الإنسانية إلى النور بعد أن هوت»(7).

ولم يقف المتن المصدري عند حدود إحاطة البطل بهالة من القداسة الرمزية، والالهام الروحي، بل تعداه إلى عرض أوصاف دقيقة، وتفاصيل جزئية عن الملامح الجسدية والخطابية، من ذلك مثلا الوصف الذي خص به ابن ابي زرع الفاسي الامير المرابطي يوسف بن تاشفين قائلا : "اسمر اللون نقيه، معتدل القامة، نحيف الجسم، خفيف العارضين، رقيق الصوت، اكحل العينين، اقنا الانف، له وفرة تبلغ شحمة اذنيه، مقرون الحاجبين، جعد الشعر، وكان رحمه الله بطلا نجدا شجاعا حازما مهابا ضابطا لملكه، متفقدا الموالي من رعيته، حافظا لبلاده وثغوره، مواظبا على الجهاد،

مؤيـــدا منصـــورا، جـــوادا كريمـــا ســـخيا زاهـــدا فـــي زينـــة الـــدنيا، متورعـــا عـــادلا صـــالحا متقشـــفا علـــى مـــا فـــتح الله عليـــه مـــن الـــدنيا، لباســـه الصـــوف، وأكلـــه الشـــعير ولحـــوم الابـــل والبانهـــا... ولـــم يوجـــد فـــي بلـــد مـــن بـــلاده ولا فـــي عمـــل مـــن اعمالـــه علـــى طـــول ايامـــه رســـم مكـــس ولا معونـــة ولا خراج في حاضرة ولا بادية"(8).

ونفـــس الوصـــف خـــص بـــه عبـــد الواحـــد المراكشـــي الخليفـــة الموحـــدي عبـــد المـــومن بـــن علـــي الكـــومي حيـــث قـــال "وكـــان ابـــيض ذا جســـم عمـــم تعلـــوه حمـــرة، شـــديد ســـواد الشـــعر، معتـــدل القامـــة، وضـــيء الوجـــه، جهـــوري الصـــوت، فصـــيح الألفـــاظ، جـــزل المنطـــق، وكـــان محببـــا إلـــى النفـــوس لا يـــراه احد إلا أحبه بداهة"(9).

إنهـــا تفاصـــيل، وجزئيـــات انحشـــرت، وانطمســـت فـــي ثنايـــا تلافيفهـــا حيـــاة الاغلبيـــة الصـــامة، والمعـــذبين فـــي الارض، والفئـــات المنتجـــة مـــن عامـــة النـــاس التـــي تـــرد عرضا، وفي سياق الاحداث العامة.

والانكـــى فـــي الامـــر أن تلـــك الاشـــارات العرضـــية، والايمـــاءات الشـــحيحة القابعـــة وراء الســـطور، والثاويـــة بـــين التفاصـــيل موســـومة بميســـم النعـــوت القدحيـــة، والاوصـــاف الشـــائنة، والـــتهم الشـــنيعة مـــن قبيـــل الرعـــاع، الاوبـــاش، الســـفلة، اهـــل الزعـــارة، وهلـــم جـــرا مـــن الاوصـــاف والنعـــوت الحاملـــة لـــذبيب العـــداء الســـافر، والكراهيـــة المقيتـــة التـــي تحشـــرها وتبوبهـــا فـــي خانـــة "ســـقط المتـــاع"، أو غثاء لا يستحق الاهتمام(10).

بيـــد ان منهجيـــة التـــاريخ الرســـمي ودرجـــة الصـــفر فـــي الاجحـــاف والتحامـــل والابتســـار التـــي تخللـــت أطـــره المرجعيـــة، لتقـــف علـــى طرفـــي نقـــيض مـــع مظـــان أخـــرى ذات

صلة بالتاريخ ككتب الحسبة والجغرافيا، والطبيخ وغير ذلك من المظان التي انفلتت من عقال "الذهنية البلاطية"، واخترقت دهاليز ما يصطلح عليه العلامة ابن خلدون بصانعي وسائل المعاش، هذا مع التأكيد ان بعض الانواع من هذه المصادر الدفينة لم تسلم هي الاخرى من إسار وشراك التأريخ لفئة قليلة من الناس كانت تشكل خاصة المجتمع مثل أعلام السياسة والدين والاداب من سلاطين وأمراء وشرفاء وصلحاء وفقهاء وقضاة وعلماء ... الخ.

2- غلبة اديولوجية السلطة الحاكمة

من نافلة القول التأكيد أن الدول التي تعاقبت على حكم المغرب حرص قادتها وزعماؤها أشد الحرص على تكريس مبدأ التوازنات السياسية بين مختلف أطياف المجتمع بدافع الرغبة في امتلاك الزمن السياسي، واحتكار أنسجة متوالياته، ومن ورائه الزمن الثقافي وما يندغم في بوتقته من أجناس وإنتاجات فكرية. ويحتل الانتاج التاريخي في سياق ذلك قطب الرحى، وموقع الصدارة في اهتمامات القادة والزعماء بالنظر لحساسيته السياسية، وفعاليته الاستراتيجية التي تخول من جهة امكانية امتلاك الماضي معرفيا ورمزيا، ومن جهة ثانية امتلاك السلطة اديولوجيا وسياسيا دونما حاجة الى وسائل السلطة المادية بمختلف اشكالها.

ومن أجل أجرأة عملية تملك السلطة، و قوننة أجهزة مفاهيمها، وقوالبها المعرفية تندرج مسألة توظيف

مؤرخين في دواوين بلاطات الملوك، وقصور الامراء، لأن من الحقوق التي كان يخولها الامراء والملوك لانفسهم هو أن تدون أعمالهم ومآثرهم في التواريخ الرسمية، لانهم كانوا يرتاحون لقراءة ما يمجدهم، ويخلد ذكراهم، ولأن ذلك من شأنه أن يرفع منزلتهم لا في نظر شعوبهم فحسب، ولكن في نظر الامم الاجنبية أيضا. لقد كانوا يجزلون العطايا لمن يسجل محاسنهم، ويحبر مفاخرهم، وكان من الطبيعي أن يتزاحم الكتاب على أبواب قصور الحكام ليقدموا لهم نتائج قرائحهم رغبة

ونجد في التاريخ العربي كما في غيره مصنفات، ورسائل تعكس بالملموس انجراف المؤرخ وراء اديولوجية الطبقة الحاكمة التي "يعتقد – صادقا مع نفسه – أنها تمثل وجهة النظر الحقيقية" (13)، بل يتجشم مشاق البحث، والتحري عن الجوانب التي تخدم سياسة الطبقة الحاكمة إلى حد تزييف وتحريف الحقيقة، وهو ما عبر عنه صراحة المؤرخ الرسمي للدولة البويهية أثناء كتابته لتاريخ بني بويه "إذ سئل عما يفعل فقال أباطيل أنمقها، وأكاذيب ألفقها"(14). وقد أثارت عملية تحريف الحقيقة عن مقاصدها، وأهدافها والتي تصب في بوتقة اديولوجية الطبقة الحاكمة ثائرة مطهر المقدسي الذي حمل بشدة على" المتطفلين على التاريخ، والمشوهين له من أرباب القلانس، وأصحاب المجالس الذين طلبهم العلم لا لله، ولا لأنفسهم، ولكن للتصدر والتقدم فهم يأخذونه من غير مظانه"(15) ثم ندد بتأثير هؤلاء على

الطبقة الشعبية حيث" شحنوا صدورهم بترهات

وتسهيل القادحين بالصخب والشغب، والشنعة، ورد العيان وجحد البرهان، ويأبى العلم الا ان يضع كنفه أو يخفض جناحه، أو يسفر عن وجهه الا لمتجرد له بكليته، ومتوفر عليه بأبنيته، معان بالقريحة الناقبة، والرؤية الصافية"(16) ."

والجدير بالذكر ان تصفية التاريخ من الشوائب والتشويه، لن يتأتى حسب مطهر بن طاهر الا بتصنيف كتاب مهذب من شوائب التزيد، مصفى من سقاط الغسالات، وخرافات العجائز، وتزاوير القصص، وموضوعات المتهمين من المحدثين(17).

والامر نفسه ينسحب على المؤرخ الشهير البيروني الذي وضع أصبعه على الاسباب الحقيقية التي تتحكم في تزوير و تحريف التاريخ، اذ كتب يقول : "فمن مخبر عن امر كذب يقصد فيهنفسه. فيعظم بني جنسه، ويزرى بخلاف جنسه، وان كلا هذين من دواعي الشهوة والغضب المذمومين، ومن مخبر عن كذب في طبقة يحبهم لشكر، أو يبغضهم لنكر، وهو مقارب الاول، فإن الباعث على فعله من دواعي المحبة والغلبة. ومن مخبر عن شيء كذب متقربا الى خير بدناءة الطبع، او متقيا لشر من فشل او فزع. ومن مخبر عن شيء كذب طباعا،

كأنه محمول عليه، غير متمكن من غيره، وذلك من دواعي الشرارة، وخبث مخابئ الطبيعة. ومن مخبر عن شيء جهلا، و هو المقلد لمخبرين"(18).

بيد ان التستر على الحقائق أو طمسها، أو تلفيفها في قوالب مسكوكة لا يشد عن قاعدته معظم المؤرخين.

فالمؤرخ الموظف والعضو في حاشية الدولة يشعر عن وعي انه لا يكتب التاريخ كما هو، بل كما يريده أو على الاقل يرضى عنه حكام العصر، لذلك يكيل التملق بالمكيال الاوفى بحيث قد يجعل من أشد السلاطين فجورا وبطشا سلطانا مثاليا(19)، وعلى النقيض من ذلك هناك المؤرخ الذي يتصدر تلقائيا لتسجيل مثالب الطاغين من ولاة الامور، والتنديد بمساوئ المستبدين، غير انه من المحقق أنه لم يفعل ذلك لتنوير العامة الأغمار ولكنه فعل لاسترضاء الخاصة الناقمين على ذوي السلطة والمتربصين لهم دائرة السوء(20). وبين هذا وذاك هناك المؤرخ الذي يتعمد نسيان الحقائق أو تحويرها اذا ما رأى ان الضرورة تدعو الى ذلك. وهو من جهة اخرى متيقن انه من السهل على القراء المتيقظين ان يكشفوا ما قصد كتمانه(21).

و كتطبيق لهذا التخريج نسوق نمآذج لمؤرخين مغاربة قدامى تراوحت نتوء كتاباتهم بين الاعتدال والمعارضة والمحاباة.

بالنسبة للانتاجات التي تصنف في خانة التاريخ الرسمي، فالثابت أن كتابها سخروا أقلامهم لكتابة سير وأخبار السلطة الحاكمة، واستأجروا لسانهم لتبرير الايديولوجية السائدة، والسياسة المتبعة، وتعليل الوقائع والأحداث تعليلا يستقيم ورغبات واختيارات

وتوجهات الاجهزة القائمة، أو بلغة أكثر وضوحا وجلاء انتاجات تخصصت في كتابة التاريخ من أعلى، وأهملت عن قصد أو عن غير قصد كتابة التاريخ من أسفل. وتاريخ المغرب بامتداداته، وتعاقبات كياناته وحركاته يحفل بهذا النوع من الانتاجات الطافحة تركيبية ثوابتها وطبة
ومنط
التس
الافت

إرضاء وتزلفا لاصحاب الحل والعقد. فضخمت والحالة هذه من المآثر والمفاخر والمنجزات، وحجبت العيوب والنقائص والمساوئ، وبررت الهزائم والغصص والانكسارات، وهللت للانتصارات برائق الشعر وفائق النثر.

ولاحاجة الى التأكيد أن هذا النوع من التواليف والانتاجات تجافي الصدق والموضوعية والنزاهة، ومن ثمة تستوجب مفاصل أوالياتها أن تؤخذ بحذر شديد، ويقظة ابستمولوجية قمينة باماطة اللثام عن مكامن الافتراءات والاضاليل والمغالطات.

وإذا كانت تلك التواليف والانتاجات تعكس التاريخ من أعلى، أو تعبر عن نزوعات ايديولوجية، وأهواء سياسية، وولاءات مذهبية فإن ذلك لا يعني جدليا التبخيس من شأنها، والتشكيك في مادتها، والطعن في نسغها وتسويغاتها التوثيقية والمنهجية، إذ الضرورة العلمية تقتضي الحفر في ثنايا تجاويفها لاستبطان ما بين سطورها وعباراتها وكلماتها من قضايا تمت بصلة للعوالم السفلى، ناهيك عن بنية نسيجها المائرة رحمها

بمادة ثرية وثرة تخول امكانية تكوين رؤية خاصة ومنظور تركيبي في تحليل وتفسير الظواهر التاريخية، وتعليل ملابساتها، وتأويل خلفياتها.

ودون الاسترسال في استقراء الضوابط المتحكمة في هذا اللون من الانتاجات يجدر استعراض عينة منها تختزل تمظهراتها بعض الكيانات السياسية التي تعاقبت على حكم المغرب، مع الاشارة الى احاد منها يكفي:

1- نظم الجمان لترتيب ما سلف من اخبار الزمان لابن القطان المراكشي (منتصف القرن السابع الهجري)

شكل ابن القطان بنزوعاته المذهبية، وميولاته السياسية علامة فارقة ومفصلية في الاسطوغرافية المغربية، ولا غرو فهو يكيل بمكيال الولاء والعداء، ويعزف على نغمة القدح والمدح غير مكترث بالموضوعية و النزاهة والصدق.

ففي الوجه الاول ينصب نفسه للدود بحماسة جياشة عن مبادئ السلطة الموحدية، والتزلف لأولياء أمرها. ولا عجب فابن القطان حظي بنعمة الخليفة المرتضي، وعمل في كنف بلاطه، وألف جملة من الكتب الحفيلة الجليلة، والدواوين العظيمة منها "نظم الجمان وواضح البيان فيما سلف من أخبار الزمان"، و"شفاء الغلل في أخبار الانبياء والرسل"، و"الاحكام لبيان آياته عليه السلام"(22)، وغير ذلك من التصانيف التي تفيض فصولها بكل أشكال التحيز والتعصب، وليس أدل على صحة ما نذهب اليه من إقراره في نصوص كاشفة عن

هـــذه الحقيقـــة، إذ ذكـــر أن للمهـــدي بـــن تـــومرت فضـــائل شـــتى، ومكانـــة ســـامية ومـــا يجـــب لـــه مـــن التعزيـــز والتـــوقير، وأن الهجـــرة اليـــه واجبـــة لا يحـــول بينهـــا وبـــين أحـــد مـــن المســـلمين أهـــل ولا ولـــد ولا مـــال، وأن مـــن ســـمع بـــامره وجبـــت عليـــه الهجـــرة اليـــه، ولا عـــذرلـــه بوجـــه مـــن الوجـــوه، ويكفـــر مـــن لـــم يصـــل عليـــه ولـــم يطعـــه..."(23)، أو في إقامـــة الحجـــة والبرهـــان علـــى صـــحة نســـبه العلـــوي، مـــع أنـــه يـــورد فـــي سلســـلة نســـبه أراء مختلفـــة متعارضـــة(24)، هـــذا فضـــلا عـــن توشـــيحه بوشـــاح العصـــمة، ومايـنـــدغم فـــي بوتقتهـــا مـــن خـــوارق وكرامـــات وتنبـــؤات "ومـــن عصـــمه – رضـــى الله تعـــالى عنـــه – منـــع العزيـــزبن منصـــور بـــن الناصـــر بـــن عـــلاء النـــاس بـــن حمـــاد منـــه، وقـــد غاظـــه وأغضـــبه وســـلامته – رضـــي الله تعـــالى عنـــه – مـــن عـــدوه، وهـــو ملـــك بجايـــة، وذلـــك أنـــه – رضـــي الله عنـــه – لمـــا دخـــل بجايـــة لقـــي بهـــا الصـــبيان فـــي زي النســـاء بالضـــفائر والاخـــراس والزينـــة وشواشـــي الخـــز، وألفـــى الارذال قـــد فتنـــوا بـــذلك وانهمكـــوا، فغيـــر المنكـــر جـــده، وازال ذلـــك الـــزي مســـتطاعه (25)، وحتـى يضـــفي علـــى امامتـــه وعصـــمته مســـوحا شـــرعيا، لـــم يتـــورع مـــن انتحـــال الاحاديـــث النبويـــة وتحريفهـــا مصـــداق ذلـــك مـــا ســـمعه عـــن أبـــي عبـــد الله اللخمـي قولـــه: "رأيـــت فـي الخبـــر عـــن خيـــر البشـــر رســـول الله(ص) أنـــه قـــال : خيـــر القـــرون الـــذي أنـــا فيـــه، ثـــم الـــذي يليـــه، ثـــم الـــذي يليـــه، ثـــم الـــذي يليـــه، والاخـــر أشـــق، ولا يقـــوم بـــالحق بعـــد الفتـــرة التـي تحـــدث فـــي الخلـــق بعـــد هـــذه القـــرون الا المهـــدي والرجـــل القـــائم بـــأمره، ومـــن يليـــه مـــن الخلفـــاء بعـــده رضـــي الله تعـــالى عنهم "(26).

وفـي الوجـــه الثـــاني تقنـــع صـــاحب نظـــم الجمـــان بقنـــاع تشـــي ملامحـــه وقســـماته بالمقـــت والكراهيـــة لاعـــداء المـــذهب

الموحدي وخصوم رجال دولته. ولا غرو فقد صب جام نزوعاته المذهبية، وميولاته المتحيزة على الحركة المرابطية، وكال لسلاطينها وأمرائها كل أصناف النعوت الذميمة، والاوصاف الجارحة حتى أنه جعلهم في منزلة المجسمين" وكذلك المجسمين هم يشبهون النساء في تغطية الوجوه والتلثم والتنقب، وشبه نساؤهم بالرجال في الكشف عن الوجوه بلا تلثم ولا تنقب. وقد لعن رسول الله (ص) المتشبهات من النساء بالرجال والمتشبهين من الرجال بالنساء، فقد شملتهم اللعنة جميعا، ومن كثر سواد قوم فهو منهم"(27). والكفار والمنافقين "وطاعتهم حرام لأنهم كفار ومنافقون ومتبعوا الهوى ومعتدون ومفسدون وجاهلون"(28) ونحو ذلك من التهم الشنيعة، و الامور الفضيعة.

والجدير بالذكر أن مواقفه الشوفينية لم تسلم منها حتى الخلافة الفاطمية في مصر، التي اتهمها بالكفر والفسوق قائلا: "فانظر الى هذه المحاولات الشنيعة والامور الفضيعة من ظلمات المظالم وانتهاك المحارم، والخروج عن مراسم السنة وحدودها "(29).

قصارى الكلام يمكن القول أن مادة نظم الجمان تمثل درجة الصفر في التحيز السياسي، والتعصب المذهبي.

2- المسند الصحيح في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن لابن مرزوق (القرن الثامن الهجري)

يعتبر كتاب المسند الصحيح في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن من الانتاجات الواجب وضعها في طليعة قائمة المؤلفات المخصصة لسير السلالات الحاكمة، والدول المتعاقبة. ولا غرو فالعنوان يفصح هو ذاته عن

مضمونه، ويعفي مشقة البحث في خلفيات وحيثيات التأليف، بمعنى أن الكتاب صمم أصلا لكتابة سيرة السلطان أبي الحسن المريني، من جهة الثناء على محاسنه والتنويه بمآثره، والاشادة بمزاياه الروحية، مع الحرص على اجتناب العيوب والمساوئ، وستر العورات والجرائر.

من المحقق أن كتاب المسند في جوهره بلاطي الغايات

مؤلفه إرضاء السلطان "أبي فارس عن طريق الاطناب في مدح والده السلطان أبي الحسن من جهة ومن جهة اخرى التذكير بالمكانة التي كان يحظى بها أثناء حياة والده.

ويمكن الاستدلال على الذهنية البلاطية لابن مرزوق من تصفح كتاب المسند بفصوله الخمسة والخمسين، والتي تتعرض عناوينه لخصال السلطان الحميدة، واصفا شخصيته بأضخم النعوت، وأفخم الاوصاف، ويكفي الاشارة الى مقدمة مصنفه للوقوف على صحة ما سلف ذكره. إذ قال متحدثا عنه: "وبعد فإني لما قيدني احسان من أحسن الي، وافاض انعامه علي، ومن بمولاته شرفت، ولولا انتسابي اليه ما عرفت، فصرت لا أجري على لساني الى طيب شكره، ولا أقوم ولا أقعد إلا بذكره، ولا استنشق الا عبير نشره، ولا أسلو عن

حبـــه بغيـــره، وهـــو مـــولاي الـــذي فـــي حجـــر ترتيبـــه نشـــأت، وبـــين يديـــه اكتســـبت مـــا بـــه علـــى النظـــرات ظهـــرت، ومـــن أنـــوار حضـــرته العليـــة اقتبســـت، ومـــن المعـــارف المبثوثـــة بـــين يديـــه
مواليـ
وســـ
الجميـ
العظيـ
وتميزت بتحصيل طرقه ومحجته"(31).

والامـــر نفســـه ينســـحب علـــى بـــاقي أجـــزاء مؤلفـــه، اذ لا تخلـــو صـــفحة مـــن صـــفحاته مـــن تعـــداد فضـــائله ومحاســـنه، والاســـراف فـــي عـــرض مناقبـــه ومـــآثره ومحاســـنه، والاشـــادة بحلمـــه وورعـــه وكرمـــه وصـــبره، ونبـــذه للســـعاية والنميمـــة، ومحاربتـــه للمنـــاكر والمكـــوس والبـــدع وتشـــجيعه للعلـــم ورجالـــه، ورعايتـــه لـــذوي الاقـــدار والاحســـاب والايتـــام والشـــيوخ، واهتمامـــه بالعمـــارة والعمـــران، ومـــا الـــى ذلـــك مـــن الســـجايا والخصـــال والفضـــائل والمحاســـن، وإن كانـــت عنـــاوين فصـــوله لاتعكـــس مضـــمونه بحيـــث يستشـــف منهـــا فـــي أحـــايين كثيـــرة انتفـــاء أيـــة علاقـــة بـــين عنـــوان الفصـــل ومضمونه كما تعلق على ذلك مايا تشاتز ميلر.

مـــن حصـــيلة مـــا تقـــدم نســـتخلص أن المســـند الصـــحيح يقـــدم أنموذجـــا مثاليـــا للمـــديح الســـلطاني، ويرســـم صـــورة رجل من رجال الحاشية البلاطية.

3- مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا لعبد العزيز الفشتالي

يشخص الفشتالي بدون منازع نموذج المؤرخ المحابي الذي سخر قلمه. وجند فكره لخدمة وتلميع صورة البلاط المغربي على عهد السعديين حتى وصف بكونه أول مؤرخ رسمي حرص السلطان احمد المنصور الذهبي على ان يكون من بين موظفي دواوينه في تقدير ليفي برفنصال.

ومما يؤكد المهمة الرسمية التي تقلدها الفشتالي اجماع كتب السير و التراجم على انه كان متولي تاريخ الدولة اي مكلفا بتدوين أخبار الدولة السعدية وتسجيل أخبار وقائعها "و يأمر اي انا و من خصه من كتاب الانشاء ببابه العالي بكتب ما يجدد بعلامته الكريمة من رسوم اسلافه الكرام والاوامر القديمة"(32). ووزير القلم الاعلى في دولة المنصور بحيث أن معظم رسائل المنصور و ظهائره من انشائه (33). ثم شاعر البلاط الرسمي الذي نظم اكثر الاشعار المرقومة في استار البديع، والابيات المنقوشة في الخشب والزليج والجبص(34). لدرجة جعل كتابه مناهل الصفا في مأثر موالينا الشرفا مديحا وتقريضا لاسرة المنصور الشريفة (35).

وقد ازدادت مكانة الفشتالي عند البلاط السعدي بدليل انه اصبح من جلساء المنصور وخاصته المقربين كما اثبت هو نفسه في مناهله "ومن كرمه الصلات والعوائد التي يصل بها ايده الله خاصته وأهل بساطه غالبا عند المواسم... حضرت مجلس الخواص مع بابه العالي ايده الله ليلة عيد الفطر عام 993 هـ"(36).

انهــا وظــائف ومســؤوليات جعلتــه يغــدق المــديح بالمكيــال الاوفـى، ويسـرف فـي التمجيــد والثنــاء علــى الســلطان احمــد المنصــور الــذهبي يؤيــد ذلــك ويدعمــه فــي نفــس الان الــنص التــالي "واميــر المــؤمنين هــذا اعلــى الله كعبــه، وأنــاخ فــي صــدور المســلمين رعبــه، هــو اليــوم امــام الجماعــة وانســان
حذ
كره
علـ
الار
المـ ... سدة الدولــة

الحســـنية وذروة عزهـــا واوج فلكهـــا ووســـطى عقـــدها، كـــان ايــده الله جــوادا كريمــا ســخيا دمــث الاخــلاق، ظــاهر الحيــاء والحشـــمة بعيـــد الهمـــة نـــاهض الجـــد ســـعيد الطلقـــة ميمـــون النقيبـــة، مطعـــم النصـــر محمـــى الحـــوزة مرهـــوب الســـيف معطـــى القبـــول فـــي الارض مـــؤثرا للعـــدل حســـن الســيرة جيــد الطريقــة، نــاهج المســعى موفــق الــرأي، عفيــف الازاري نزيه الخلوة ..."(37).

يمــور الــنص الانــف الــذكر بفــيض مــن الخــلال والســجايا والخصـــال التـــي يتمتـــع بهـــا الســـلطان، ولـــولا الاختصـــار الـــذي اشـــترطنا لاوردنـــا مـــن شـــريف خلالـــه مـــا يضـــيق عنـــه الرحـــب و لا يسعه الكتب (38).

لكـــن بـــالرغم مـــن تحيـــز الفشـــتالي وانجرافـــه المطلـــق وراء اديولوجيـــة الســـلطة الحاكمـــة، فـــإن مصـــنفه يكتســـي اهميـــة تاريخيـــة لا يســـتهان بهـــا، فهـــو مـــن جهـــة يضـــم تفاصـــيل دقيقـــة عـــن حكـــم المنصـــور، وعـــن الاحـــداث التـــي وقعـــت فـــي عصـــره(39)، ومـــن جهـــة ثانيـــة مصـــداقية نتـــوء رواياتـــه وحســـبنا ان الكتابـــات التـــي يـــدونها كاتبهـــا عنـــدما تكـــون الاســـرة الحاكمـــة فـــي أوجهـــا غالبـــا مـــا تتســـم بالنزاهـــة والصدق الى حد ما (40).

وكحصيلة لما تقدم يمكن القول ان عبد العزيز الفشتالي لا يشذ عن القاعدة، ولا يشكل حالة نشاز، بل تمور كتابة تاريخ المغرب من بداياته وعبر امتداداته بهذا النوع من المؤرخين، والاشارة الى احاد منهم تكفي كأبي بكر علي الصنهاجي المعروف بالبيدق، وعبد المالك بن صاحب الصلاة بالنسبة للموحدين، والخطيب محمد بن مرزوق، واسماعيل بن الاحمر بالنسبة للمرينيين، والقاضي محمد الكراسي بالنسبة لبني وطاس، وعبد العزيز الفشتالي واحمد بن القاضي بالنسبة للسعديين، وابي القاسم الزياني ومحمد اكنسوس وعبد الرحمان بن زيدان بالنسبة للعلويين(41).

4- الجيش العرمرم الخماسي في دولة اولاد مولانا علي السجلماسي لمحمد بن أحمد الكنسوسي (ق 19 م)

يندرج كتاب الجيش العرمرم الخماسي في دولة أولاد مولانا علي السجلماسي ضمن سياق الانتاجات التي تمحور نسيجها البنائي والتوثيقي حول أخبار وسير السلطة الحاكمة، وما يرتبط بها من مفاخر ومآثر، وما حظيت به من مقطعات شعرية، ومنظومات نثرية. ولا غرو فصاحب الجيش العرمرم تقلد مهام ومسؤوليات ذات شأن في البلاط العلوي، توزعت بين الكتابة والوزارة على العهد السليماني، وهي مهام ومسؤوليات جعلته يكيل المديح والثناء بالمكيال الأوفى الى حد قال عنه ليفي بروفنصال" بأنه لم يكتب التاريخ الا ليمدح ويتزلف"(42)، وإن كان أحمد الشرقاوي اقبال ينفي عنه هذه الصفة قائلا" ومن التكذب عليه أن يقال عنه أنه كان يتملق ويتصيد المناسبات ليحمد الحاكمين بما

لم يفعلوا مع أنه ذكر من نقائص الملوك القاصرين، ومثالب الامراء المنحرفين ما لا يجرؤ سواه على قوله، لا سيما والدولة هي التي أوعزت اليه بالتأليف فهي ترغب -لاشك- في إظهار الجميل والتغطية على القبيح"(43).

وقد ترجم هذه الرغبة في مطلع كتابه الذي توخى منه أن يكون أول عالم يخصص للعلويين تاريخا جديرا بمنزلتهم الرفيعة، وأنه تطوع لذلك بعد أن تأكد من قصور أو عجز من سبقه في هذا المضمار، ملاحظا أن ما كتبه الافراني في نزهة الحادي لا يبل غلة الصادي، وما كتبه أبو القاسم الزياني في البستان الظريف كخرقاء وجدت صوفا أعانه على ما ذكره تقاييد الشيخ ابن الحاج المكناسي الذي كان بغاية الذكاء موصوفا، وهو في ما جمع بلا ترتيب وتنقيح كحاطب ليل وباغت سيل، وأما الشريف العلامة القادري فقد ذكر في الازهار الندية بعض أخبار الدولة الاسماعيلية الى أول الدولة المحمدية وذلك قل من كثر، لا يسمن ولا يغني، ولا يقرب من ذلك الحق ولا يدني (44).

ولعل في استقراء نتوء المنزلة الرفيعة ما يخول إمكانية الوقوف على فيض من عبارات التزلف، وكلمات التقريظ والمديح في حق رجالات البلاط العلوي، نذكر منها الاوصاف الكريمة والخصال التي حلى بها السلطان عبد الرحمان بن هشام" وأما أوصافه الجليلة التي طبع عليها، ومال في كلية أمورها إليها، فلا تحصى ولا تعد، ولا ترسم ولا تحد من ذلك الكرم والشجاعة والحياء، والحلم والصبر والوفاء، وطهارة الباطن التي عنوانها نزاهة الطاهر، وعدله في القضايا التي وصلت اليه على حقيقتها، وقيامه بنوافل الخيرات من الصيام والقيام

والمحافظة على أداء الصلوات(...) هذه الاخلاق كلها كانت فيه على الكمال بالمشاهدة التي تحتاج الى برهان ولو ذهبنا الى ذكر ما وقع له منها لطال بنا الحال"(45). ناهيك عن المقطوعات الشعرية ذات الشحنة التكسبية، والمنحى الاستجدائي التي جادت بها قريحته في مختلف المناسبات" فأدرك من ورائها أنواع البر و الاكرام، وأصناف الخير والبركات، والملابس الفاخرة التي تناسب عطايا أعاظم الملوك، وأساطين السلاطين فضلا عن الجوائز المتكاثرة المتعددة(46).

وتتواتر عبارات المديح السلطاني، لتطال كل أمراء وسلاطين الدولة العلوية من أوائل مؤسسيها الى عهد السلطان محمد بن عبد الرحمان، واصفا مآثرهم وأعمالهم ومنجزاتهم بارق العبارات، وأعذب الكلمات، وتبرير مساوئهم وجرائرهم وانحرافاتهم باقوى الذرائع وأشد الاعذار، وتبخيس مأثر ومنجزات الغير بأشد لسان وأقدح كلم، من ذلك قوله" لو شاهد المنصور الذهبي سورا واحدا من أسوار مولاي اسماعيل لعلم أن ما أفنى فيه عمره من ذلك المنزل المسمى بالبديع إنما هو في التمثيل كدار ابليس التي تباع في عاشوراء ويلعب بها البنات، ولا تحتاج المشاهدة لاقامة البنيات(47).

وبنفس نغمة المقت والكراهية هاجم الدولة العثمانية قائلا أن تلك الناحية (يعني بلاد الجزائر) تنور منقد الجمار، لا يصلح تملكها الا لكل جاف جاهل حمار كالاتراك السفهاء الاغمار، وأنها ما أضيفت لهذه الدولة قط الا أثرت فيها فسادا وخللا، وأظهرت فيها آفات وعللا كما علم ذلك في أخبار الدول السالفة (48).

أمــا بالنســبة للانتاجــات التــي تبــوب فــي دائــرة التــاريخ المعتــدل، فــالراجح أن كتابهــا أختــاروا عــن وعــي أوعــن غيــر وعـي مبـدأ المنزلـة بـين المنـزلتين في سـرد الظـواهر التاريخيـة، ومــا يــرتبط بهــا مــن أخبــار الكيانــات الحاكمــة وســير الســلاطين والامــراء مرتبــة ترتيبــا زمنيــا فــي تغييــب كلــي للعلل والاسباب الا ما نذر.

1 المعجــب فــي تلخــيص أخبــار المغــرب لعبــد

ينـ

قا

بـ

السياســي فــي نســيج مروياتــه، اللهــم الا نزوعــات حاملــة لميــولات عاطفيــة مــن قبيــل تعاطفــه مــع المعتمــد بــن عبــاد (واصــفا ايــاه بــالمروءة ونزاهــة الــنفس وطهــارة الســريرة وشــدة الملوكيــة) (49)، وتحاملــه الشــديد علــى الدولــة المرابطيــة وأميرهــا علــي بــن يوســف الــذي ظهــرت فــي بــلاده منــاكر كثيــرة وذلــك لاســتيلاء أكــابر المــرابطين علــى الــبلاد ودعــواهم الاســتبداد، وانتهــوا فــي ذلــك الــى التصــريح، فصــار كــل مــنهم يصــرح بأنــه خيــر مــن علــي أميــر المســلمين، وأحــق بــالامر منــه، واســتولت النســاء علــى الاحــوال، واســندت الــهن الامــور، وصــارت كــل إمــرأة مــن أكــابر لمتونــة ومســوفة مشــتملة عــن كــل مفســد وشــرير وقــاطع ســبيل وصــاحب خمــر ومــاخور، وأميــر المســلمين فــي ذلــك كلــه يزيــد تغافلــه، ويقــوي ضــعفه، وقنــع باســم أميــر المســلمين، وبمــا يرفــع اليــه مــن الخــراج، وعكــف علــى العبــادة والتبتــل، فكــان يقــوم الليــل ويصــوم النهــار، مشــهورا عنــه ذلــك، وأهمــل

أمـور الرعيـة غايـة الاهمـال، فاختـل لـذلك عليـه كثيـر مـن بلاد الاندلس (50).

إنهـا نزوعـات لا تـنم مضـامين عباراتهـا عـن موقـف سياسي

صـ

شـ

الارتـ

روايـ

بها ه

أولها: ضعف عباراته وغلبة العي على طباعه

ثانيهـا: خلـو مروياتـه مـن إطـار مصـدري يعتمـد عليـه، ويجعلـه مستندا كما جرت عادة المصنفين في هذا الشأن

ثالثهـا: اخـتلال محفوظاتـه وارتباكهـا، بسـبب ازدحـام همومه وكثرة غمومه (51).

تأسيسـا علـى ذلـك وبامعـان النظـر فـي تلـك المحـاذير، تستشـف أن صـاحبها اسـتهدف مـن ورائهـا تبريـر زلات قلمـه وفلتـات لسـانه، وفـي ذات الان تحصـين مصـنفه مـن التقصـير والابتسـار، وإضـفاء الحيـدة والامانـة عليـه ،سيما وأنه ألفه بعيدا عن كل ضغط أو تملق.

وكيفمـا كـان الامـر، وبغـض النظـر عـن هناتـه واختلالاتـه، فـإن مصـنف عبـد الواحـد المراكشـي تنضـح متوالياتـه بقضـايا فريـدة، وموضـوعات دسـمة، مـن ذلـك اهتمامـه الواسـع بتـاريخ دولـة الموحـدين، فهـو يصـف تاريخهـا وصـف عيـان ومشـاهدة، مفصـلا القـول فـي نظمهـا، وتنظيماتهـا، وقبائلهـا وحياتهـا الاقتصـادية، ومـا الـى ذلـك مـن القضـايا والموضـوعات التـي تـنم عـن روح الصـدق فـي كـل مـا يرويـه في كتابـه مـن خبـر ومـا يصـف مـن حادثـة، ومـا يـرى مـن رأي أيضـا بـرغم صـواب ذلـك الـرأي أو خطئـه، وبعض الخطأ في الرأي نوع من صدق الرأي(52).

2- الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية لمؤلف مجهول (ق 6 هـ)

بموازاة الانتاجات التي اتخذت مسارا معتدلا، وموقفا مهادنا يندرج كتاب الحلل الموشية في ذكر الاخبار المراكشية لمؤلف مجهول، ويستمد ذلك الاعتدال، وتلك المهادنة نسغها من مجموعة مؤشرات ذيل بها مقدمة مصنفه :

أولها: غربلة مروياته ونخلها تلافيا للاطناب

ثانيها: تطعيم مصادر مروياته بعدد من الاسفار، ومجموعة من دواوين العلماء الكبار

ثالثها: تأطير نتوء مروياته وفق خيوط زمانية ناظمة لها(53).

رابعها: تمثيل الحدث التاريخي وتوصيفه بطريقة تصويرية أقرب الى الحقيقة من الخيال مع مراعاة بعض الشروط الضابطة لذلك

خامسها: توشيح الغني بالله ملك غرناطة بعبارات الثناء والمديح والتقريظ

سادسها: تخصيص مدينة مراكش بعمل تاريخي يهتم بأخبارها

يطرح المؤشرين الاخيرين علامات استفهام كبرى عنك الحوافز والظروف والملابسات الكامنة وراء تأليف الكتاب. بمعنى هل جاء تأليفه بأمر من الغني بالله ملك غرناطة وبإيعاز منه وهو ما تعبر عنه الفقرات التي خصه بها، إذ حلاه بأضخم الصفات العلمية، وأفخم النعوت الخلقية، وأعظم السجايا الدينية "الامام خليفة رب العالمين، أمير المسلمين، كبير الملوك، وقذوة الخلفاء، المخصوص بالله بمزايا الاجتباء والاصطفاء،

عـز الاسـلام، وبهجـة الايـام، حامـل الكـل، وكافـل الكـل، أدام الله حياتـه، وعصـم الكـريم ذاتـه بفضـله وكرمـه، فلقـد أضـاء الاسـلام بحسـن تـدبيره، وجميـل سـعيه، وبـدت شـواهد الاغتبـاط علـى مـن أوى الـى كنـف رعيـه، حتى ملـوك الاقطـار

الاسـ

بشـ

الحـ

النص

وطـوبى لمـن نشـأ فـي خـدمتها العزيـزة تحـت ظـلال اكنافهـا، ولحقـت لابائـه عنايـة أسـلافها. فقـد نـال مـن حـظ الـدنيا والاخيـرة مبتغـاه، وأمـن مـن عـدوان الزمـان ووعـاه(54). أم أن تأليفـه يسـتجيب لرغبـة أقليميـة قوامهـا كتابـة تـاريخ مـراكش وجمـع نبـذ مـن عيـون أخبارهـا، وتعـداد الكـرات فـي حصـارها، الـى غيـر ذلـك ممـا كـان فيهـا مـن الاحـداث الكبـار، والوقـائع ذات الاعتبـار، مـن لـدن نـزول سـكانها، واختطـاط بقعتهـا، ومكانهـا وابتـداء تسـويرها وبنائهـا، وذكـر الباعث لاتخاذها مقرا لسلطانها (55).

غيـر أن الحلـل ليسـت تاريخـا محليـا لمدينـة مـراكش، فهـو يتعـرض بشـكل موسـع لتـاريخ المـرابطين والموحـدين ويختتمه بالمامة مقتضبة عن تاريخ دولة بني مرين.

كمـا أن الفقـرات المخصصـة لتبجيـل الغنـى بـالله وتطريـز شخصـيته بأحسـن الصـفات الخلقيـة لا يـنهض قرينـة علـى أن الكتـاب برغمـاتي الهـوى والمنـزع، بـل الامـر يتعلـق بالمعاملـة الطيبـة. ورد الجميـل للرعايـة البلاطيـة التـي حظي بها. وألف مصنفه في ظلال نفوذها.

ومما يزيد في تعزيز هذا الرأي ويمنحه القوة والصلابة اهماله عن قصد أو عن غير قصد لتاريخ مملكة غرناطة وأخبار أمرائها وسلاطنيها وكأنه بهذا العمل يريد أن يبرئ نفسه من ذبيب التحيز السياسي، والتزلف الشخصي، وفي ذات الان يعطي الدليل إن كان الامر يحتاج الى دليل أن مصنفه موسومة تركيبة حناياه بميسم الاعتدال وأس الموضوعية.

3- نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي لمحمد الصغير الافراني :

يجسد محمد الصغير الافراني نموذج المؤرخ الذي أمسك العصا من الوسط. ولا غرو فقد تسلح بالحيطة والاحتراز في تقاييده ومدوناته، وتحاشى اللمز الجارح، والغمز الفاضح تحت ذريعة وخلفية ان المؤرخ على شفا جرف هار، لانه يستطيل على اعراض الناس تعصبا او جهلا، او اعتمادا على نقل من لا يوثق به (56). أو بتعبير اكثر اجرائية فمسؤولية المؤرخ في عرف الافراني تستلزم تقعيد معرفة تاريخية تنحرف عن سكة الغلو في الاراء، والتجني في الاحكام تأسيا واقتداء بمن سماهم وجيه كوثراني برجال الاعتدال الذين لا يسبون ولا يلعنون ولا يفسقون ولا يكفرون (57).

على أساس ذلك تلونت روايات الافراني بتلوينات الاعتدال. وليس ادل على صحة ما نذهب اليه إقراره في نصوص كاشفةعن حقيقة هذا المنحى إذ قال: " ان غرضنا في هذا الكتاب ، الاغضاء عن العورات، والتستر عن الفضائح(58)، بل الاكثر من ذلك ضرب صفحا عن مطاعن رأى الاعراض عنها أولى، لان من شروط المؤرخ

الا يبيع العورات، ولا تهتك الاعراض، وتجنب التغالي في الذم في حق من يستحقه منه (اي السعديين) سترا للاعراض، ورعيا لجانب الخلافة (59).

يتأكد مما تقدم ان الافراني مارس أشكال من اشكال الرقابة الذاتية على رواياته، وحتى منقولاته التي ذيل بها كتاباته موسومة بميسم الامانة والدقة، الى حد يعد حسب ليفي بروفنصال من الكتاب الذين يحضون بكامل الثقة والتقدير (60).

وبجانب (هذين النوعين) من الانتاجات، هناك نوع ثالث يصنف في خانة الاتجاه المعارض. ولا غرو فقد تصدر كتابها عن قناعة صادقة، أو عن قناعة مؤدلجة تسجيل اخبار الحكام، وسير السلاطين والامراء، وأحوال البلاطات وما يجري في ردهاتها من دسائس ومؤامرات وفق نهج قوامه حجب المحاسن، وتضخيم المساوئ، الى حد تجريد الانظمة القائمة من كل مفخرة وآثار أو تحويلها الى مجرد كلشيهات سوداء ليس الا، مع التأكيد أن الكتاب الذين تسلحوا بسلاح المعارضة في وجه أهل الحل والعقد يعدون على رؤوس اصابع اليد الواحدة، ويأتي في طليعة هؤلاء مؤرخ الدولة السعدية المجهول الذي أرخى العنان لقلمه في كتابه تاريخ الدولة السعدية التكمدارتية فسجل فيه امورا شنيعة، واخبارا فظيعة تفيض بأشد نقد، وأحد لسان، وهو يصل في ذلك الى حد تخوين وتجريح سلاطين الدولة السعدية، والحط من قدرهم، واخراجهم عن النسب الشريف، ووصف دولتهم بالدولة الخبيثة. مع الضرب عرض الحائط بالامانة التاريخية، ومجافاة الموضوعية في كثير من الامور.

ويتأطر المنزع الاديولوجي المعارض للمؤلف المجهول في مقامات متعددة، وسياقات مختلفة يبقى اهمها الحملة الشعواء التي شنها على السلطان محمد الشيخ السعدي وهاك نص ما قاله في هذا الصدد "كان اسمر اللون أدبس ثامر العينين، كبير الانف، غليظ الشفتين، جهير الصوت جبارا قبيح الذات والافعال غدارا لمن خدمه ونصحه مسرعا الى الفساد في القينات والصبيان والاولاد، مصرا على الخمر والحشيش لا يغتسل من جنابة ولا يشهد في جمعة، اكل لرمضان قليل الهيبة، يضر بالمساكين ويأكل اموال الرعية. وكانت الناس في ايامه تعس بالليل على حوانيتها و ديارها، سرق في ايامه برج الثياب وبرج الاعشار الذي على واد العظام، وسرقت دار السكة، وسرقت له الخوامي من على باب قبته، ومن جملة ماوقع من ظلمه بعد وفاةأبيه ان الرماة كانوا يقبضون المبيت من العرب مثقالا في كل ليلة وكبار الجيش من اربعين اوقية الى مائة اوقية ويأخذون البقر والقطف، ويفسقون في نساء البلاد ...(61).

ولم يقف الامر عند هذا الحد، بل جرفت حملة المؤلف المجهول اليابس والاخضر من سلاطين الدولة السعدية فقد اتهم عبد الله الغالب بالخيانة والخذلان عندما كتب الى سلطان النصارى واتفق معه ان يخلى الادالة على حجرة بادس، ويبيع له البلاد ويخليها من المسلمين (...) فأتت النصارى بالعمارة الى الحجر، ونزل المسلمون وسكنها النصارى برأي السلطان الفاسد(62). والامر نفسه ينطبق تمام الانطباق على السلطان مولاي عبد الله الذي تبع سيرة أبيه و زاد عليه فوقع من الفساد منه ومن جيشه ما لا يقدر على وصف لقبحه، بل كان

يزني بنساء عمه، وجواري جده، ودخل شهر رمضان وكان يشرب الخمر فيه جهارا مع خدامه ... (63).

ان الاوصاف والاتهامات التي دمغ بها المؤرخ المجهول أمراء الدولة السعدية تفسر بشكل او بأخر أسباب إخفاء اسمه، إما خوفا على نفسه، او اتقاء لشر من غمز قناتهم في كتابه (64).

وعلى الرغم من ذلك فإن كتاب تاريخ الدولة السعدية التكمدارتية تنطوي احداثياته على معطيات عظيمة القيمة والفائدة لا سيما وانه يتضمن أخبار المغرب

و

ت

ا

ال

ال

الشرفاء السعديين(65) .

وعلى غرار المؤلف المجهول تبنت تصانيف وتواليف أخرى نفس التصور والرؤية في عملية تسجيل مساوئ وعيوب أهل الحل والعقد من خلال التنديد بجورهم وعسفهم، غير أنه من المحقق أن مؤلفاتهم تعرضت للطمس والاتلاف والمحو لطمر واخفاء كل ما من شأنه أن يزعزع الثوابت، ويخلخل تماسك المجتمع، ويندرج في إطار تلك المصنفات التي طالها الطمس الكتاب الذي ألفه الشريف المولى الحسن بن السلطان سيدي محمد بن عبد الله إذ أورد فيه حسب ما يرويه كتاب جديرون بالثقة أمورا مملوءة بالنقد واللوم المرير، بل ولم يجد حرجا في تسجيل جميع ما شاهده من نقائص الاسرة الحاكمة التي ينتمي اليها ومنها اخطاء حكومة والده(66).

3-هيمنة الخطاب العجائبي

تنطــوى متواليــات المــتن المصـ ...

ذات

يســ

أجــ

وللبر

نورد

- يتحـدث ابـن عـذاري المراكشـي فـي كتابـه "البيـان المغـرب فـي أخبـار الاندلس والمغـرب" عـن تأسـيس القيـروان علـى يـد عقبـة بـن نـافع قـائلا : "وفي سـنة 51 هـ شـرع عقبـة في ابتـداء بنـاء مدينـة القيـروان، وأجابـه العـرب الى ذلـك. ثـم قـالوا إنـك أمرتنـا بالبنـاء فـي شـعارى وغيـاض لا تـرام. ونحـن نخـاف مـن السـباع والحيـات وغيـر ذلـك. وكـان في عسـكره ثمانيـة عشـر رجـلا مـن أصـحاب رسـول الله (ص) و سـائرهم مـن التـابعين. فـدعا الله سـبحانه واصـحابه يؤمنـون علـى دعائـه، ومضـى الـى السـبخة وواديهـا ونـادى أيتهـا الحيـات والسـباع نحـن أصـحاب رسـول الله (ص) فـارحلوا عنـا فأنـا نـازلون، ومـن وجـدناه بعـد هـذا قتلنـاه. فنظـر النـاس بعـد ذلـك الـى أمـر معجـب مـن أن السـباع تخـرج مـن الشـعرى وهـي تحمـل اشـبالها سـمعا وطاعـة، والـذئب يحمـل جـروه، والحيـة تحمـل اولادهـا. ونـادى في النـاس. كفـوا عـنهم حتى يرحلـوا عنهـا. فلمـا خـرج مـا فيهـا مـن الوحـوش والسـباع والهـوام، والنـاس ينظـرون اليهـا حتـى أوجعهـم حـر الشـمس، فلمـا لـم يـروا منهـا شـيئا دخلوا، فأمرهم أن يقطعوا الشجر "(67).

تطفح رواية ابن عذاري بالكثير من الحقائق التاريخية القابعة بين ثنايا تجاويفها نختزلها فيما يلي :

1 – تأثير الخوارق والمعجزات في تأسيس المدينة الاسلامية، مما يدل على رسوخ الطابع الاسلامي العام في اختطاط المدن، وازدهار العمران باعتبار الاسلام دين بناء وعمران بغض النظر عن الاختلافات العرقية والمذهبية والاقليمية (68).

2 – عرضت الرواية لأهمية الموضع الذي هو عبارة عن شعارى وغياض لاترام، وكثير الاحراش والغابات، ومأوى الحيوانات الضارية التي استجابت لوعد ووعيد عقبة بن نافع ومن معه بمغادرة أوكارها حاملة معها صغارها سمعا و طاعة.

3– تضخيم الخيال الى حد الانحراف عن جادة الصواب. فالحقيقة حسب بعض الباحثين ان عقبة بن نافع لجأ الى تدبير عملي لطرد الوحوش و الزواحف بإضرام النار في الاعشاب و الاشجار. ويذهب البعض الاخر الى تطبيق الخبرات الفارسية، و ذلك بوضع مواد كيماوية منفرة جعلت الحيوانات تسرع بمغادرة المكان (69).

4– تمثل تيمة المكان بنباته ووحيشه نغمة مشتركة في الروايات التاريخية التي نسجت حول المدن المغربية . و دلالة على تعاظم ظاهرة العمران المديني في بلاد المغرب بعد استقلالها عن الخلافة العباسية (70).

5– تنم الاشارة الى أصحاب رسول الله (ص) عن قدسية عملية الفتح الاسلامي، وعن الخلفية الاسلامية في بناء المدن وازدهار العمران، وهو مايعني في نهاية الامر

تجسـيـر تبعيـة بـلاد المغـرب لـبلاد المشـرق عـن طريـق اضـفاء البعد الديني الصرف عليها .

6- تشـي عبـارة " فنظـر النـاس بعـد ذلـك الـى أمـر معجـب "

أاس في بنـاء مدينـة فـاس عـن نهـر فـاس قـائلا فمنهـا نهرهـا المعـروف بنهـر الجـوهر (أي فـاس) الـذي بأعلاهـا بنحـو سـتة اميـال، وهـو يخـرج مـن نحـو سـتين عنصـرا، جلهـا ينبعـث مـن جهـة القبلـة، وبعضـها مـن جهـة الغـرب مسـامتا لمشـرق الشـمس، ولـه منظـر عجيـب لصـفائه... فيشـق اكثـر جهاتهـا، ويتشـعب فـي داخلهـا، فينتفـع بـه مسـاجدها وسـقاياتها ودورهـا ... ثـم يخـرج منهـا وقـد حمـل أثفالهـا، وسـائر فضـلاتها... لا ولـيس لهـذا النهـر نظيـر لصـفائه، وعذوبـة مائـه، وخفتـه، وبـرودة عيونـه فـي زمـن الصـيف، وسـخانتها فـي زمـن الشـتاء، وهـو يسـخن سـريعا وينهضـم سـريعا... ومـن منافعـه انـه يفتـت -الحصـا التـي تكـون فـي المثانـة، ويزيـل الصـيبان مـن الـرأس، والقمـل مـن الجسـد لمـن اغتسـل بـه، وداوم علـى شـربه، ويلـين البشـرة، وتغسـل بـه الثيـاب دون صـابون فيبيضـها، ويكسـوها رونقـا وروائـح طيبـة، ويوجـد فيـه السـرا طـين المسـتعملة في الادوية وليست توجد في غيره الا نادرا "(71).

تنطـوي روايـة الجزنـائي علـى مجموعـة مـن الحقـائق التاريخية نجملها فيما يلي :

1 – تـوفر المنطقـة علـى بنيـة جيولوجيـة غنيـة بمواردهـا المائية، وامكانياتها الطبيعية، وثرواتها المعدنية.

2 – تشـي جـودة مـاء النهـر الـى احتـواء روافـد ينابيعـه علـى ميـاه غنيـة بالغـاز الكربـوني، ومـادة الكبريـت، والحـرارة المرتفعـة خاصـة ميـاه حمـة خـولان التـي تعـرف حاليـا بسيدي حرازم .

3 – سـطرت روايـة الجزنـائي جملـة مـن المزايـا والمنـافع التـي يخـتص بهـا نهـر فـاس، بعضـها يصـيب كبـد الحقيقـة، وبعضـها الاخـر يضـج بالمبالغـات المفرطـة، والغلـو الشـديد، الامـر الـذي أوقعـه بـوعي أو بـدون وعـي فـي شـراك النزعـة العصـبية التـي لـم يتـوان علـى امتـداد فصـول مصـنفه النفخ في كيرها، والعزف على أوتارها.

4 – تحيـل عبـارة "ولـه منظـر عجيـب لصـفائه" علـى اواليـة الخطاب العجائبي، وتأثيره الفاعل في الوجدان الجمعي

5 – انطـواء روايـة الجزنـائي علـى خلـل تـاريخي قوامـه ان مدينـة فـاس يخترقهـا نهـران و لـيس نهـر واحـد. وهـو مانعـاه عليـه محقـق المـتن قـائلا : "ان النهـر الـذي يخـرج مـن فـاس حـاملا أثقالهـا و سـائر فضـلاتها لـيس هـو نهـر الجـوهر، بـل هـو نهـر اخـر يـدعى وادي بـوخرارب يلتقـي بـوادي سـبو علـى بعـد أربعـة كيلـومترات الـى الشـرق منهـا، وعلـى النهـر الاخيـر توجد القناطر التي تصل احدى العدوتين بالاخرى"(72).

خلاصـة الكـلام ان الخطـاب العجـائبي يعـد البـؤرة المركزيـة فـي نسـيج الظـاهرة التاريخيـة، بـل وتغطـي معانيـه ودلالاته بنية المتن المصدري بشكل مضمر أو مكشوف.

4-طغيان النزعة العصبية

تخترق النزعة العصبية ثنايا المتن المصدري أفقيا وعموديا،تصريحا وإضمارا عبر شبكة من المقاطع، والعبارات، والصفحات، التي تمور بنيتها التركيبية، والدلالية برائحة النعرة القبلية، وشوائب التحيز الإقليمي.

وهكذا شكلت النزعة العصبية بخلفياتها وملابساتها اللحمة المركزية في خطاب الاسطوغرافية التقليدية، باستحضار وتمثل ما يمت بصلة للروح القبلية، والبعد الاقليمي، والهوى المغربي. لذلك انبرى كتاب الحوليات التقليدية لاعادة الاعتبار لتاريخ المغرب عبر رسم واستعراض محاسن سكانه، وفضائل أرضه، وسحر أنهاره، وعذوبة مياهه، وجودة مواشيه وأنعامه، والثناء على علمائه وصلحائه، وفقهائه، وقضاته، وأمرائه، وسلاطينه، وهلم جرا من اصحاب الحل والعقد الذين طمست اخبارهم واثارهم عن قصد او عن غير قصد، وهو ما تبلور عمليا في شكل مدونات ومصنفات والاشارة الى احاد منها تكفي كالتشوف الى رجال التصوف الذي استهدف منه صاحبه تأكيد حديث الرسول (ص) بأن في المغرب طائفة لا يزال اهلها ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خالفهم أو خذلهم حتى تقوم الساعة، ولكن اهملت اخبارهم، وجهلت اثارهم. كذا الحال بالنسبة لأنس الفقير وعز الحقير الذي صنفه ابن قنفذ ليجعل محوره أبا مدين، ويسجل فيه ما شاهده في المغرب من صلحاء وأولياء، ولكن ليثبت وهذا هو الاهم من كل ذلك سند عائلته الصوفي، واستحقاقه لوراثتهم وبالجملة فإذا ما وجدت

روايات تؤكد امانة المغاربة في مقابل المشارقة وعفتهم و ورعهم. وتؤكد على الاقليمية أو تظهر صلات الاسرة أو الطائفة، أو تحقيق البطولة الفردية أو القبلية فإنها وضعت وضعا (73).

ولا يقف الأمر عند حدود ومنعطف المقاطع، والصفحات، والعبارات، بل يتعدى ذلك إلى توشيح صدر المتون المصدرية بعناوين تشخص، وتعبر بجلاء عن البعد المحلي الضيق.

وعليه لا ينبغي أن يعزب عن البال أن خيوط النزعة العصبية التي تذيل بها، وتؤشر عليها عناوين المتون المصدرية لا تنطبق تمام الانطباق على كل محتوياتها ومضامينها بل تنخرط العتبة / العنوان في سياق عام أملته قاعدة السجع ليس إلا، أي أن حبكة ونسيج العنوان، يعتمد على جرس الكلمات، وتناسق الحروف، المشكلة لإيقاعات موسيقية، يكون لها وقع وصدى على المتلقي.

ومن القرائن الدالة على تسرب النزعة العصبية بين دفتي عناوين المتون المصدرية، نسوق عينة منها على سبيل المثال لا الحصر:

- علي الجزنائي : جنى زهرة الاس في بناء مدينة فاس. تحقيق عبد الوهاب بنمنصور
- ابن القاضي : جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس.
- عبد الرحمن بن زيدان : إتحاف أعلام الناس بجمال حاضرة مكناس.
- محمد داوود : تاريخ تطوان.
- محمد بوجندار : الاغتباط بتراجم أعلام الرباط.

بيـــد أن عنـــوان الكتـــاب لا يعكـــس البتـــة مضـــمونه، فصـــاحب الحلـــل الموشـــية فـي ذكـــر الاخبـــار المراكشـــية الـــذي الـــف اصـــلا للحـــديث عـــن المدينـــة وتاريخهـــا لـــم يفـــرد لهـــا ســـوى صـــفحتين يتيمتـــين. كـــذا الحـــال بالنســـبة لابـــن ابـــي زرع الـــذي لـــم يخصـــص لمدينـــة فـــاس وتاريخهـــا ســـوى شـــذرات لا تـــروي ظمـــأ(74). والحكـــم نفســـه ينســـحب علـــى كم هائل من الحوليات التقليدية.

طبيعـــه تنظـيم العـرب القبلـي (75)، ونفـس الـراي عبـر عنـه الأسـتاذ سـعد زغلـول عبـد الحميـد حيـث استشـف في هـذا الصـدد أن "كـل جماعـة قبليـة تأخـذ بالروايـة التـي ترضـى نزعتهـا، أو نعرتهـا القبليـة، بـل تغيـر فيهـا حتـى تلائـم منـزعها هـذا، ومـن أمثلـة هـذا التحيـز القبلـي أن الواقـدي نسـب في كتابـه فتـوح افريقيـة فخـر فـتح المغـرب إلـى قبائـل اليمن، وإلى قبيلة حمير بالذات(76).

والغريـــب فـي الأمـــر والأنكـــى أن نجـــد مؤرخـــا مـــن عيـــار ابـــن تغـــرى بـــردى يعمـــد إلـــى تقعيـــر جـــذور النزعـــة العصـــبية إرضـــاء لرغبـــة ذاتيـــة محضـــة، وهكـــذا يقـــول ببســـاطة المؤلـــف النزيـــه فـي كتابـــه "النجـــوم الزاهـــرة في تـــاريخ مصـــر والقـــاهرة". " ولـم اقـل كمقالـة الغيـر، أنني مسـتدعي إلـى ذلـك مـن أميـر أو سـلطان، ولا مطلـب بـه مـن الأصـدقاء والإخـوان، بـل ألفتـه لنفسـي، وأينعتـه بباسـقات غرسـي، ليكـون لـي فـي الوحدة جليا، وبين الجلساء مسامرا وأنيسا" (77).

5- سيادة النزعة المذهبية

تحيل النزعة المذهبية على خطاب ديني، يمتح أصوله،

وآ

تن

وه

الأ

مـ

مذهبية تتأرجح بين الشيعية، والخارجية، والسنية، وكل خطاب يجسد الهوية الحقيقية للمؤلف، عبر سلسلة من القيم الإيحائية، والطاقات التعبيرية التي تؤكد بشكل لا يدع مجالا للشك ميكانزمات النزعة المعبر عنها، والمقيد بتلابيبها.

وهكذا تنطمر في ترسبات المتن المصدري أبعادا ودلالات لا حصر لها يتقاطع، ويندغم في قاع مجاريها، تيارات، واتجاهات دينية متعددة يهيكل أليافها قاسم مشترك ينحو منحى التعصب الشديد تارة، والعداء المقيت، والتحامل المبيت تارة أخرى، أو بعبارة أكثر عمقا وشمولية كل تيار مذهبي يضفي على مبادئه وأفكاره هالة من القدسية، والخوارق، والكرامات، والبطولات، مع الضرب عرض الحائط بالتيارات الأخرى التي تنحاش – من وجهة نظره – في خانة الهرطقة، والسفسطة الكلامية، والأقاويل المصطنعة المفتعلة.

ومن أجل الاستدلال على إجرائية، وحقيقة الميولات المذهبية الكامنة في جزئيات، وتفاصيل المادة المصدرية، لا مناص من تسليط الضوء على نموذج من نماذج المصنفات التاريخية التي تصب في نفس البؤرة، ونخص بالذكر المصادر الشيعية، ثم سبك ترسيمة بيانية عن

مصدر متطرف يجأر بالشكوى من أوحال الإفراط في المغالاة الشديدة، ونعني به أخبار المهدي بن تومرت للبيدق.

-المصادر الشيعية

تدور أخبار، وروايات هذا النوع من المصادر حول الدول، والإمارات التي تبنت المذهب الشيعي كمنهج، وأسلوب حياة، مع الاستفاضة والإطناب في تسجيل تاريخهم، وتحديد أصولهم وأنسابهم، وتبجيل زعمائهم وقادتهم، وعلى النقيض من ذلك تنتفي أخبار المذاهب المناوئة، اللهم إلا بعض الإشارات الشاحبة، والإيماءات اليسيرة، التي تأتي عرضا، وفي سياق الأحداث العامة.

ويشخص كتاب "صورة الأرض" للجغرافي ابن حوقل علامة، وأنموذجا حيا لهذا الاتجاه، مصداق ذلك النص التالي : "وانتقل عنها رجالها (أي المهدية) بانتقال المنصور عليه السلام وبعدها عنها، وسكناه المنصورية من ظهر القيروان، وذلك لما دهمه من أبي زيد مخلد بن كيداد وقصده المخالفة عليه، واطرد ما اطرد له عند خروجه بالمغرب في أحزاب الكفر والنفاق، والاباضية، والنكارية المراق، فانه سارت به الحال عند نجومه لما سبق به القدر وتقدم به القضاء، إلى أن استولى على المغرب بأجمعه، وحاصر المهدية، وضيق على أهلها، وموالينا عليهم السلام، حتى أذن الله تعالى ببواره وهو في غاية الثقة بأنصاره، والسرور باغتراره، فخانه فجوره، وأسلمه سروره وخرج إليه مولانا أمير المؤمنين المنصور بالله صلى الله عيه وسلم في فئة شعارها الإيمان، وعادتها من الله الظفر والإحسان، وعدو الله في عدد لا

يحصـى، وأمـة أذن الله فيهـا بـالفنى ... يمـر مـرا كرجـع الطـرف ابطـؤه فـي قـبض أنفسـهم والنصـر منـتظم، فزحـزحهم عـن مسـتقرهم، وصياصـيهم، وبـدل السـيف في نواصـيهم وانهـزم اللعـين وقـد عـاين المـوتى، وشـارف المـوت، يطلـب مـن الأرض معـادا وفيها مـن سـوء مـا اقترفـه لواذا، فمن

إلـ

الأة

الله

بالسـعادة، وعلـت فيـه طيـر النصـر والسـلامة، فتـيمن بنزولـه وتبـرك بحلولـه فـأنجزه الله مـا وعـده وبلغـه مـا أملـه، فهـزم أبـا يزيـد عـن مكانـه، وأمكـن الله مـن حزبـه وأعوانـه، فمـن علـى أهـل القيـروان بـالعفو والغفـران، واتبـع أبـا يزيـد، فكـان بينهمـا مـا يطـول شـرحه ويتفـاقم إنبـاؤه إلـى أن أخـذه ورجـع إلـى العسـكر المنصـور و المكـان المذكور" (78).

يسعف تفكيك النص في تحصيل الخلاصات التالية:

* تغليـف شخصـية مخلـد بـن كيـداد وجماعتـه، بغـلاف الأوصـاف القدحيـة، و النعـوت الشـائنة "أحـزاب الكفـر و النفـاق"، "الفجـور"، "عـدو الله"، "اللعـين"، وهلـم جـرا مـن الأوصـاف، والنعـوت المشـحونة بالتحامـل المـذهبي حتى وصل الحال إلى حد التكفير.

* تسـييج شخصـية المنصـور بسـياج التعظـيم، والتفخـيم، والتبجيـل إلـى درجـة يعـادل ويـوازي فيهـا مقـام الأنبيـاء والرسل.

* إن الإفـراط والمبالغـة فـي التعصـب للمـذهب الفـاطمي يضـع أكثـر مـن علامـة اسـتفهام حـول قيمـة وصـحة،

ومضمون المعلومات التي أوردها، وتتسع رقعة المفارقة، ومساحة التحامل المكشوف، إذا علمنا أن ابن حوقل كان جاسوسا في البلاط الفاطمي وينسحب الحكم ذاته على لفيف من كتاب المصنفات التقليدية، فهذا "أبو عبد الله محمد بن علي بن حماد لا يخفي تحامله الشديد على الخوارج وتعصبه للفاطميين حيث يذكر المهدي مسبوقا بعبارة " سيدنا الخليفة الأول أمير المؤمنين " (79).

ان الحديث عن المرجعية الشيعية ونسغها الاديولوجي، يجرنا الى سبك خطاطة بيانية عن مصدر موحدي يغلي بسعار العصبية المذهبية في أعلى قمة درجاتها ونعني به أخبار المهدي بن تومرت للبيدق

اللقب	الصحيفة	المجموع
- الإمام	11	1
- سيدنا المعصوم رضى الله عنه	12 – 11	2
- الإمام رضي الله عنه	13 – 11	2
سيدنا المعصوم	12–25–26–35–36–38– 41 -38	8
المعصوم	12-16-16-16-18-18-18-19- 12-20-20-21-21-21-22- 22-22-22-22-22-22-23- 23-23-23-23-24-25-25- 25-26-26-27-27-27-28-28- 28-29-30-30-31-31-32-32-	70

	-35-35-35-35-35-35-35-34 -40-39-38-38-38-37-37-37 36-41-41-41	
الإمام المعصوم رضي الله عنه	12	1
المعصوم رضي الله عنه	17-17-17-16-16-16-14-13	8
الخليفة أمير المؤمنين رضي الله عنه	14	1
رضي الله عنه	-55-45-43-43-33-14-13-11 95-79	8
الإمام المهدي المعصوم رضي الله عنه	16	1
الإمام المعصوم	-33-28-23-20-20-19-18-18 44-36-33	11
الإمام المهدي	45-43-20	3
مولانا الخليفة رضي الله عنه	44	1
المهدي رضي الله عنه	95-94-45	3
المجسمين	90-51-38-37-37-35-35	7

نستشف من الجدول أعلاه أن لقب " المعصوم " ينفرد بمركز الصدارة. ويليه في الترتيب لقب "الإمام المعصوم ". مما يدل إن كان الأمر يحتاج إلى دليل أن شخصية محمد بن تومرت تمثل قطب الرحى التي يدور حولها

الكتـــاب، ســـواء مـــن حيـــث اســـتعراض أقوالـــه، وأفعالـــه أو مـــن حيـــث تســـجيل كـــل التفاصـــيل عـــن ســـيرة حياتـــه بـــل الأكثـــر مـــن ذلـــك أضـــفى عليـــه كـــل صـــفات الخـــوارق و الكرامـــات، مقابـــل ذلـــك وســـم خلفـــاء الدولـــة المرابطيـــة بلقـــب "المجســـمين"، كمـــا أن عنـــوان الكتـــاب يفصـــح هـــو ذاتـــه عـــن مضـــمونه، ويشـــخص بعمـــق هـــامش النزعـــة المذهبية في أعلى درجات تجلياتها وتمظهراتها.

وعلـى غـرار المصـادر الشـيعية تنـوء المصـادر السـنية تحـت وطـأة التعصـب المـذهبي. ولا غـرو فقـد اختـرق متواليـات أنسـجتها قـولا وفعـلا وفكـرا وشـعورا، ليكتسـب فـي مقامـات متعـددة، وسـياقات مختلفـة ذبيـب الغلـو الشـديد الـذي يمـتح مفاهيمـه ومعانيـه مـن معجـم لغـوي قوامـه القـدح الجـارح، والافتـراء الفاضـح والتحريـف الواضـح، ناهيـك عـن ممارسـات أخـرى أشـد ضـراوة، وأقـوى شراسـة كحـرق مصـنفات المنـاوئين انتصـارا للمـذهب، وتعصـبا لمبادئـه، وينهض دلـيلا علـى ذلـك مـا حـدث لكتـب أبـي محمـد بـن حـزم الأندلسـي (ت456هـ) فبسـبب الخصـومة التـي كانـت بينـه وبـين فقهـاء المالكيـة بالأنـدلس جعلـتهم أي الخصـومة يمقتونـه ويحرقـون كتبـه علانيـة حتـى قـال ابـن حـزم فـي ذلـك : فـإن يحرقـوا القرطـاس، لا يحرقـوا الـذي تضـمنه القرطـاس، بـل هـو فـي صـدري. والأمـر نفسـه ينسـحب علـى مـا جـرى لكتـب حجـة الإسـلام لأبـي حامـد الغزالـي (ت505هـ)

فـي المغـرب الاسـلامي زمـن دولـة المـرابطين. وذلـك أن السـلطان علـي بـن يوسـف بـن تاشـفين أمـر بـإحراق كتـب الغزالـي وهـدد بقتـل ومصـادرة أمـوال مـن وجـدت عنـده مصـنفات الغزالـي أو بعـض منهـا، وكـان القاضـي عيـاض

(ت544هـ) من بين الذين طالبوا بحرق كتب الغزالي ويبدو أنهم فعلوا ذلك لما وجدوه فيها من مقالات كلامية وأشعرية وصوفية تخالف ما هم عليه من مذهب السلف وأهل الحديث في أصول الدين، وغير ذلك من الأمثلة التي ساقها خالد كبير علال في كتابه التعصب المذهبي في التاريخ الإسلامي.

6- موقع الأسطورة في المتن [illegible]

من رأى فيها التاريخ في صورة متنكرة، ومنهم من اعتبرها مرضا من أمراض اللغة، ومنهم من جعلها مرآة لقراءة نفسية الذين ألفوها، ومنهم في الأخير من اعتبرها إدراكا مبتدئا، بل إدراكا خاطئا " (80) .

مهما يكن من أمر الشحنة المعرفية والرمزية التي تحيل عليها الأسطورة، فإنها تمثل في نهاية المطاف طورا من أطوار الفكر الإنساني، أو وظيفة من وظائف الذهن الإنساني، بيد أن السؤال الجوهري الذي يفرض نفسه بإلحاح: ما هي المؤشرات والبصمات الدالة على احتواء المتن المصدري لنفحة أسطورية؟ هل هي مؤشرات وبصمات تشذ عن القاعدة، ويقدمها المؤرخ التقليدي على أنها حقائق ثابتة؟

إن الإجابة عن هذا السؤال إجابة شافية مقنعة لن يتأتى إلا بإعادة تفكيك المتن المصدري وفق منظور

يرتكـــز علـــى استقصــــاء وانتشــــال بعـــض الجزئيـــات ذات المنحى الأسطوري .

و

وا

تـ

بـ

وكرامـــات إنســـانية مقدســـة، ولـــيس أدل علـــى ذلـــك مـــن تأســـيس مدينـــة فـــاس نظـــرا لمـــا أثيـــر حولهـــا مـــن روايـــات متضـــاربة، وأســـاطير خرافيـــة، نســـج خيوطهـــا، وحبـــك ألياقها ابن أبي زرع و الجزنائي و غيرهما.

فروايـــة " صـــاحب القرطـــاس " تؤكـــد " أن الإمـــام إدريـــس لمـــا عـــزم علـــى بنـــاء مدينـــة فـــاس ووقـــف فـــي موضـــعها يختطهـــا مربـــه شـــيخ كبيـــر راهـــب مـــن رهبـــان النصـــارى، وقـــد نيـــف علـــى مائـــة وخمســـين ســـنة كـــان مترهبـــا فـــي صـــومعة قريبـــة مـــن تلـــك الجهـــة، فوقـــف بـــادريس وســـلم عليـــه، ثـــم قـــال لـــه أيهـــا الأميـــر مـــا تريـــد أن تصـــنع بـــين هـــذين الجبلـــين؟ فقـــال أريـــد أن اخـــتط بينهمـــا مدينـــة لســـكناي وســـكنى أولادي مـــن بعـــدي، يعبـــد الله تعـــالى بهـــا و يتلـــى بهـــا كتابـــه، وتقـــام بهـــا حـــدوده، قـــال أيهـــا الأميـــر إن لـــك عنـــدي بشـــرى، قـــال ومـــا هـــي أيهـــا الراهـــب، قـــال انـــه اخبرنـــي راهـــب كـــان قبلـــي فـــي هـــذا الـــدير تـــوفي منـــذ مائـــة ســـنة انـــه وجـــد فـــي كتـــاب علمـــه انـــه كـــان بهـــذا الموضـــع مدينـــة تســـمى ســـاف خربـــت منـــذ ألـــف ســـنة وســـبعمائة، وانـــه يجـــددها ويحيـــي دائرهـــا، ويقـــيم دارســـها رجـــل مـــن آل بيـــت النبـــوة يســـمى إدريـــس : يكـــون لـــه شـــان عظـــيم، وقـــدر جســـيم لا يـــزال ديـــن الإســـلام قـــائم بهـــا

إلى يوم القيامة فقال إدريس رضي الله عنه الحمد لله أنا إدريس، وأنا من بيت آلالرسول(ص)، وأنا بانيها إن شاء الله، فكان ذلك مما قوى عزم إدريس على بنائها، فشرع في حفر أساسها " (81). وبموازاة مع ذلك يسوق رواية أخرى لا تخلو من مغزى أسطوري مفادها " أن رجلا من اليهود احتفر أساس دار يبنيها لسكناه بقنطرة عزيلة عن المدينة المذكورة، والموضع يومئذ شعراء بالطحش والبلوط والطرفاء وغير ذلك فوجد في الأساس دمية رخام على صورة جارية منقوش على صدرها بالقلم المسند هذا موضع حمام عمر ألف سنة ثم خرب فأقيم موضعه بيعة للعبادة " (82).

أما صاحب زهرة الاس فأراح نفسه عناء ومشقة هوس التقصي والمساءلة حيث لا تعدو روايته أن تكون مجرد نوع من الاستنساخ والاجترار لرواية ابن أبي زرع.

وبنفس القالب الأسطوري نسج المؤرخ التقليدي ترهاته، وطرز طلاسم مبالغاته حول ملابسات رحلة إدريس بن عبد الله إلى المغرب حيث يقدم، ويصور من جهة كبطل وصاحب معجزات، وخوارق، ومن جهة ثانية كشخصية شريدة، مطاردة ومغامرة"، تمكن من تأسيس دولة دون سابق إعداد أو تدبير من هنا جاء مصدر الاختلاف والتضارب حول كيفية الهرب ووقائع الرحلة، والصواب في ما يرى المؤرخ الكبير محمود إسماعيل " أن دعاة الزيدية امنوا له الإقامة بمصر والخروج منها إلى برقة حيث تكفل دعاة المعتزلة بأمر رحلته إلى المغرب "(83). أي أن تأسيس الدولة

الادريســــية تحقــق علـــي ارض الواقــــع كتتـــويج للعمــــل الــــدعائي، والنشــــاط السياســـي الــــذي اســــتمر ردحــــا مــــن الزمن قبل وصول إدريس الأول.

هندســـة مصـــــنفه، إذ يعتقـــد صـــادقا أن روايتــــه- بغــــض النظــر هــل هــي أســـطورية أم غيــر أســـطورية- تمثــل عــين الحقيقـــة، بـــل الحقيقـــة ذاتهـــا. فـــلا غـــرو أن يكلـــف نفســـه عنـــاء، ومشـــقة النـــبش والحفـــر عـــن الأدوات والوســـائل القمينـــة لتلميـــع شخصـــية معينـــة – وقـــد يكـــون الشـــخص مجـــرد نكـــرة –أو الـــدفاع عـــن قضـــية مـــا-وقـــد تكـــون القضـــية مهـــزوزة –أو إثبـــات مـــذهب بعينـــه – وقـــد يكـــون المذهب في أعلى قمة المغالاة.

7- موقع الرؤيا في المتن المصدري

إن استجلاء ترسبات الرؤيا في طبقات المتن المصدري رهين بتفكيك المعنى اللغوي، والمغزى الرمزي لألياف خيوطها.

تؤدي الرؤيا لغويا "معنى النظر بالعين والقلب، وهي مصدر لما يراه النائم."(84)، وقد وردت في القرآن الكريم بمعان متعددة منها قوله تعالى "إذ يريكم الله في منامك قليلا" .

وتتغيا تيمة الرؤيا في الخطاب الصوفي "إنتاج حقيقة من الحقائق تعرض أمام الرائي فتتبين له الحلول التي يمكن أن يكون محتاجا إليها، أو المسائل التي يجوز أن يكون طالبا معرفتها أو إخبارا بالمشاكل والعقبات التي يعجز تفسيرها واجتيازها، ويستخير الله فيها أن يلهمه الصواب والحق في التغلب عليها" (85).

ومن علامات صدق الرؤيا تكرارها وتوافرها، وتطابقها مع الشريعة نصا وسنة، لذلك يعتبرها الصوفية أدنى درجات الكشف أما أعلى درجات في الكشف فهو الوحي" (86).

تأسيسا على ذلك فان السؤال المحوري الذي يفرض نفسه بإلحاح: هل رمزية الرؤيا في حنايا المتن المصدري تحيل أبعادها الدلالية، وإيحاءاتها التعبيرية على تبرير تحققات، وتفسير تمثلات، وتحرير حالات من اجل

إفراغها في قالب يتوسل إنتاج وصفات بديلة قادرة على تقويم ما ينبغي تقويمه وإصلاح ما ينبغي إصلاحه؟

مما لا شك فيه أن رمزية الرؤيا في بنية المتن المصدري ترتبط إفرازاتها وتشكلاتها وتداعياتها بشروط وملابسات لها علاقة وطيدة بظاهرة اجتماعية أو نزعة مذهبية أو نظام سياسي أو قضية اقتصادية، وهي شروط وملابسات تنوس تحقيق فعل التأثير والاندهاش في نفسية المتلقيوتأهيله للانخراط في صيرورة الواقع منخلال تفسير وتأويل الحمولة الرمزية لمغزى الرؤيا، زد على ذلك فان مفعول الرؤيا تتبلور آلياتها، وتتحرك طاقاتها الإيحائية من اجل إعادة بناء المتناقضات، وما يناوش الوعي الشقي من ضغوط متعددة، واكراهات متشعبة.

وعلى قاعدة الضغوط والاكراهات تحبك خيوط الرؤيا، وتقبع علاماتها في سياقات مختلفة وتنصهر فيها أطراف محددة كأصحاب الحل والعقد من زعماء، وفقهاء وعلماء... الخ. وحسبنا دليلا على ذلك الرؤيا التي أوردها عبد الواحد المراكشي في كتابه "المعجب في تلخيص أخبار المغرب" وبهذه القرية (أي فنزازة) له حكاية طريفة، وذلك انه وهو بها رأى في المنام كأنه يأكل مع أمير المسلمين علي بن يوسف في صحفة واحدة، قال : ثم زاد أكلي على أكله وأحسست من نفسي شرها إلى الطعام، ولم يزل ذلك بي إلى أن اختطفت الصحفة من بين يديه وانفردت بها، فلما انتبه قص الرؤيا على رجل كان يقرأ عليه اسمه عبد المنعم بن عشير يكنى أبا محمد. فلما

أتى على آخرها قال: يا بني يا عبد المومن هذه الرؤيا لا ينبغي أن تكون لك، إنما هي لرجل ثائر، يثور على أمير المسلمين فيشاركه في بعض بلاده ثم يغلبه بعد ذلك عليها كلها وينفرد بمملكتها "(87).

إن تشريح هذه الرؤيا وتفكيك منطقها الداخلي يخول إمكانية الخروج بالملاحظات التالية:

* إن الصحفة تمثل الكلمة – المفتاح لضبط وتحديد دلالة ومغزى الرؤيا حيث تحيل رمزيتها والحالة هذه على مكون المكان، والمكان هنا يقصد به المغرب.

* أن ابتلاع الطعام بطريقة شرهة يرمز إلى هشاشة فسيفساء صرح الدولة المرابطية التي هي عبارة عن تمثال ضخم يقف على أرجل من طين، أو بكلمة أكثر وضوحا وجلاء سهولة انتزاع الحكم من أيدي أمراء الدولة المرابطية.

* إن توظيف الرؤيا يعتبر مكونا جوهريا من مكونات العمل الدعائي، والنشاط السياسي الذي يفضي إلى بوابة الحكم.

وفي السياق ذاته يورد البيدق رواية أخرى تتقاطع إحداثياتها شكلا ومضمونا مع رواية المراكشي" وذلك انه لما خرج الخليفة أمير المؤمنين مع عمه رضي الله عنهما جدا حتى وصلا متيجة، فنزل بها عند الفقيه أبي الرؤيا، وارتحلا حتى وصلا لبني زلدوى فرأى المنامة بعينها إلا أن الصحفة على رأسه والناس يأكلون منها، زكريا وأخيه صنغ فأقاما بها أياما حتى أن الله تعالى أرى منامة

للخليفـــة رضـــي الله عنـــه، وذلـــك انـــه رأى صـــحفة مـــن طعـــام علـــى ركبتيـــه يأكـــل منهـــا النـــاس كافـــة. فلمـــا أصـــبح قـــال لعمـــه، يـــا عـــم رأيـــت كـــذا وكـــذا فقـــال لـــه اكـــتم هـــذه فلمـــا أصـــبح اقـــبلا يجـــدان الســـير حتـــى نـــزلا بجايـــة(...) ولمـــا وصـــل الخليفـــة رضـــي الله عنـــه بجايـــة وجـــن عليـــه الليـــل قـــرأ حزبـــه وصـــلا ورده فـــي تلـــك الليلـــة ثـــم نـــام فـــرأى الرؤيـــا بعينهـــا إلا أن النـــاس يبايعونـــه. فلمـــا أفـــاق اعلـــم عمـــه بهـــا. فقـــال لـــه

لـــي أبـــوك علـــي، وقـــد رأيـــت فـــي أمـــرك موعظـــة. كنـــا نحصـــد الـــزرع وأمـــك بـــك حامـــل، فجـــاءت للفـــدان واضـــطجعت نائمـــة، فاقبـــل بنـــدان مـــن نحـــل فنـــزلا علـــى أمـــك فلمـــا خلقـــت، أتـــت أمـــك الفـــدان فلقطـــت الســـنبل وتركتـــك نائمـــا فنـــزل أيضـــا عليـــك النحـــل أكثـــر ممـــا كـــان نـــزل علـــى أمـــك وأنـــت فـــي جوفهـــا، ثـــم قـــام النحـــل عنـــك وافتـــرق فـــرقتين واحـــدة للمشـــرق وأخـــرى للمغـــرب فقـــال علـــي. الله اكبـــر هـــذا هـــو الـــذي قـــال الفقيـــه بتلمســـان، فلمـــا رجعنـــا مـــن الفـــدان قـــال لامـــك احفظيـــه فـــان لا بـــد لـــه مـــن الأمـــر الـــذي ذكـــره الفقيـــه المفســـر، فكـــانوا ينتظـــرون منـــه حتـــى بلـــغ مبلـــغ الرجـــال(...) فلمـــا ســـمع رضـــي الله مقالـــة عمـــه قـــال لـــه يـــا عـــم اخـــرج مـــع النـــاس أرى هـــذا الفقيـــه السوســـي، وأقـــول لـــه هـــذه المنامـــات وهـــذا الأمـــر واســـأله فـــي أحـــوال الـــديانات و الواجبات"(88).

وعلى غرار المكونات المتحكمة في رواية صاحب المعجب تتركب رواية البيدق من الأنسجة التالية:

* إن حضور تيمة الكتمان في موضوعة الرؤيا يستوجب

النبـ

السـ

الأوليـ

بغيـ

تسريبه وتصريفه فهذا يعني أن هناك أمورا وخططا يتم التحضير والإعداد لها، وما الرؤيا إلا ذريعة ورافدا من روافد العمل الدعائي لمشروع سياسي قيد المخاض.

* إن حضور تيمة النار في موضوعة الرؤيا يرمز إلى التطهير والتجديد والحياة والاستمرارية الأمر الذي يوحي أن المشروع السياسي الموحدي يشق طريقه بإصرار لتقويض أركان الحكم القائم.

* إن حضور الأم والأرض في موضوعة الرؤيا يمثل وجهان لعملة واحدة، فهما يرمزان للخصب والنماء والاستمرارية والتجديد، والتبشير بواقع جديد يؤسس على انقضاض واقع يجار بالشكوى من أوحال الانتكاسات والاختلالات والانحرافات ...الخ

* تشير رمزية النحلة إلى "التنظيم الدقيق، والترتيب المحكم، والسرية المطلقة" (90) الأمر الذي يؤشر أن المشروع الاديولوجي الموحدي قيد التكوين مسيج بالسرية التامة ويؤسس وفق شروط مضبوطة ودقيقة.

صفوة الكلام يمكن القول أن موضوعة الرؤيا تروم إنتاج خطاب سياسي يستند على إستراتيجية جديدة تتجاوز خطوط الوضعية القائمة المسكونة بهاجس "الديكتاتورية" العصبية، والانحراف الديني، والإفلاس الاقتصادي، والانحلال الاجتماعي، ومما ينهض قرينة على الشرخ والتصدع الذي ينخر جسم الدولة المرابطية، إشارة صاحب المعجب مثلا إلى التفسخ والانحلال الاجتماعي حيث يقول "واختلت حال أمير المسلمين رحمه الله بعد الخمسمائة اختلالا شديدا، فظهرت في بلاده مناكر كثيرة، وذلك لاستيلاء أكابر المرابطين على البلاد ودعواهم الاستبداد، وانتهوا في ذلك إلى التصريح، فصار كل منهم يصرح بأنه خير من علي أمير المسلمين وأحق بالأمر منه واستولى النساء على الأحوال وأسندت إليهن الأمور، وصارت كل إمرة من أكابر لمتونة ومسوفة مشتملة على كل مفسد وشرير وقاطع سبيل وصاحب خمر وماخور، وأمير المسلمين في ذلك كله يتزيد تغافله، ويقوى ضعفه، وقنع باسم إمرة المسلمين، وبما يرفع من الخراج، وعكف على العبادة والتبتل، فكان يقوم الليل ويصوم النهار،(...) وأهمل أمور الرعية غاية الإهمال "(91).

8- التاريخ والشعر

تطـــرح الأشـــعار القابعـــة بـــين ثنايـــا تلابيـــب المصـــنفات التاريخيـــة تســـاؤلات كبـــرى، وإشـــكاليات مركبـــة تـــرتبط جـــدليا بـــأس وماهيـــة العلاقـــة بـــين الشـــعر والتـــاريخ. هـــل هـ
علا

بمـ

التـ

ان

التاريخ؟.

يتقـــاطع الشـــعر مـــع التـــاريخ مـــن حيـــث البنـــاء الهيكلـــي للفعـــل التـــاريخي، أي أن الشـــعر ذاكـــرة حاملـــة لتـــاريخ الشـــعوب وأيامهـــا وأخبارهـــا وملاحمهـــا وغزواتهـــا... الـــخ. ولـــيس أدل علـــى ذلـــك قـــول ابـــن عبـــاس اذا أعيـــاكم تفســـير ايـــة الله فـــأطلبوه فـــي الشـــعر فإنـــه ديـــوان العـــرب، وبـــه حفظـــت الأنســـاب، وعرفـــت المـــأثر، ومنـــه تعلمـــت اللغـــة. فكـــذلك التـــاريخ فهـــو يعتمـــد علـــى تـــأريخ الاحـــداث وإعـــادة بنائهـــا وفـــق مقاصـــد ايديولوجيـــة محـــددة. وتكـــون الحصـــيلة النهائيـــة ان كـــلا منهمـــا يســـعى لتقعيـــد متواليـــات الحـــدث وصناعته تبعا لوسائله وادواته الخاصة.

ولا شـــك ان هـــذا التقـــاطع علـــى مســـتوى البنـــاء الهيكلـــي هـــو الـــذي يفســـر إســـتكثار الـــوزير لســـان الـــدين بـــن الخطيـــب مـــن الشـــعر لكونـــه فـــي نظـــره مـــن الشـــجرة بمنزلـــة النســـيم الـــذي يحـــرك عـــذابات أفنانهـــا (92). واستشـــهاد عبـــد الواحـــد المراكشـــي فـــي معجبـــه بـــأكثر مـــن 770 بيـــت شـــعري،

والامر عينه ينسحب على أغلب المصنفات التاريخية، مما يدل ان كان الامر يحتاج الى دليل ان حضور الشعر في المتن المصدري يكتسي دلالة وظيفية مؤداها إثارة العواطف والانفعالات في نفسية المتلقي، او كما قال الشاطبي في كتابه الموافقات ان كتاب الطبقات الصوفية ينتزعون معاني الاشعار ويضعونها للتخلف بمقتضاها، وهو في الحقيقة من الملح لما في الاشعار الرقيقة من إحالة الطباع، وتحريك النفوس الى الغرض المطلوب، ولذلك اتخذه الوعظ ديدنا وأدخلوه في أثناء وعظهم (93).

خلاصة القول ان الشعر كجنس أدبي تنطوي موضوعاته على حقائق تاريخية جاثمة في مكونات انسجته الامر الذي أهله ليكون مصدرا أساسيا من مصادر الكتابة التاريخية.

9- الكرامة الصوفية والمتن المصدري

تحتضن المصادر الدفينة، أو ما يصطلح عليه مارك بلوخ بالمصادر اللاإرادية ظواهر تاريخية مشبعة بدلالات ورموز ذات خصائص وظيفية وبنيوية، قسط منها يصح أن يعتمد عليه بوصفه وثيقة تاريخية، وهذا ما يقربها من التاريخ، وقسط اخر منها هو اقرب الى الاسطورة منه الى التاريخ. وهذا القسط هو ما يعطي لهذا النوع من المصادر هويتها وتميزها(94)، ومن هذا القبيل الكرامات الصوفية، اذن ما المقصود بالكرامة الصوفية؟ وما هي دلالاتها ومفهومها الاجتماعي، وعلاقتها بالتاريخ؟.

يعرف محمد مفتاح الكرامة الصوفية بأنها أمر خارق للعادة، غير مقرون بدعوى النبوة والتحدي يظهره الله على أيدي أوليائه(95). وبهذا المعنى فالكرامة الصوفية تحوي امورا خارقة للعادة، وتظهر على يد رسله وأوليائه، وتتعذر معارضتها من الانسان العادي، وتكون موافقة للسنة النبوية، ومصدقة لها، وتكون أحيانا نتيجة للتحدي(96).

كما تحمل تركيبتها من جهة حكايات كرامية، ومكاشفات صوفية، وبيوغرافيا الاولياء وما يندغم في بوتقتها من ظواهر تاريخية اقتصادية واجتماعية ودينية... الخ. ومن جهة ثانية تقترب بنيتها الحكائية من الأدب الشعبي المتميز بشفاهية النص، ونقله عن طريق التداول، وتوظيف الحيوان في القصة مما يقترب من

الكليلدمنات، وتقترب أيضا من المزاعم الشعبية كإمكانية تحول الحجم الكبير الى صغير او العكس، او اعطاء الروح للحيوان وتسخيره... الخ(97).

يستشف اذن ان الكرامة الصوفية تمتح هوية تسويغاتها من الاسطورة والتاريخ وينهض دليلا على ذلك المثالين التاليين :

* يسوق ابن الزيات التادلي حكاية كرامية قوامها أن يخلف بن تادكو الهسكوري المعلم بمسجد الاحسن قال : "مر بي عبد الخالق فقال لي : عزمت على زيارة ابي عبد الله فاذهب معي اليه، فلما وصلنا اليه نزلنا عنده، وكانت عادته الا يبيت مع أضيافه، فإذا أحضر لهم ما يحتاجون، تركهم في مكانهم وانصرف عنهم. فلما كان وقت السحر جاء ابو عبد الله الى البيت الذي بتنا فيه فقال لعبد الخالق : اذهب بنا لنتوضأ من البحر. فذهبا فتبعتهما إلى أن وصلا الى البحر. فدخلا فيه وهما يمشيان على الماء، فأردت أن اتبعهما، فغلبني الماء فوقفت. فالتفت الي عبد الخالق فقال لي ارجع واجلس على الشط حتى نرجع... فقال له ابو عبد الله وهل تبعنا الا لينال من بركتنا. فقال لي يا يخلف تعال فتبعتهما امشي معهما على الماء الى ان وصلنا جزيرة في البحر. فدخلنا فيها الى ان وجدنا عينا من الماء فتوضأنا منه. فقال أبو عبد الله : هذه العين هي عين فطر ورثتها عن أبي عن جدي وأرجو ان تورث عني، وبهذه العين سميت قريتنا، وانت يا يخلف قد شاهدت ما شاهدت فاكتم علينا حتى نموت"(98).

إن قـــراءة فاحصـــة لهـــذه الحكايـــة الكراميـــة تخـــول امكانيـــة تحصيل الكثير من الرموز والايحاءات

- تفســـر الحكايـــة بالنســـبة لمـــن لا يعـــرف جغرافيـــة المنطقـــة بـــأن لا وجـــود لعـــين هنـــاك، ولا لمـــاء حلـــو، وانمـــا مغـــزى الكرامـــة هـــو الرغبـــة فـــي المـــاء لندرتـــه فـــي تلـــك المنطقـــة، فعبرت عن حالة نفسية واشبعتها(99).
- يـــدل الوضـــوء علـــى التطهـــر، وإزالـــة النجاســـة، وغســـل

لعالم الطبيعة.

- ترمـــز البركـــة للنمـــاء والزيـــادة والعلـــو والســـعادة، وهـــي بالتـــالي حالـــة تنقـــل الانســـان او غيـــره مـــن وضـــع دنيـــوي الـــى وضـــع مقـــدس بفضـــل ذلـــك النمـــاء أو تلـــك الزيـــادة، وتكـــون نتيجـــة هـــذا العلـــو تلـــك الســـعادة والتشـــريف والكرامة التي يتمتع بها ويمتع بها(101).
- إن الكرامـــة لا تتحقـــق إلا بـــالكتم، والكـــتم بـــرزخ بـــين الحيـــاة والمـــوت ومـــا بينهمـــا تكتســـب الكرامـــة رمزيـــة وجودها واستمرارها زمكانيا.

*وفـي حكايـــة كراميـــة اخـــرى ســـاقها صـــاحب التشـــوف فـــي ترجمـــة احـــد الصـــالحين ويـــدعى ابـــو وكيـــل ميمـــون بـــن تاميمونـــت الاســـود جـــاء فيهـــا : "إن المطـــر احتـــبس فـــي وقـــت نزولـــه وقلـــت الميـــاه. فكـــان النـــاس يرحلـــون مـــن بلادهـــم الـــى مواضـــع الميـــاه. فـــأمر ابـــو وكيـــل قومـــه ان يســـتقوا مـــن

الحفـرة التي اعـدها لمـاء المطـر. فقالـت لـه زوجتـه : مـا هـذا الـذي تفعلـه؟، اتريـد أن يـتم المـاء فنرحـل كمـا رحـل النـاس؟ فـأعرض عـن قولهـا. فلمـا نفـذ مـاؤه اتـت اليـه وقالـت

خيمتـا

السـم

صـغير

فـروي النـاس وامـتلات صـهاريجهم فرجـع النـاس الـى بلادهم"(102).

تحبـل الحكايـة الكراميـة الانفـة الـذكر بـالكثير مـن الدلالات والايحاءات نوجزها في الاتي :

- يفسـر انحبـاس المطـر في المخيـال الشـعبي بعقـاب ربـاني، وبـين العقـاب الطبيعـي والعقـاب الربـاني تنتصـب وتتـدخل بركـة الاوليـاء لتحقيـق فعـل الانفـراج، وتغييـر مجرى الحوادث والاشياء.
- يرمـز المـاء لشـيء ثمـين لـذلك اسـتمر الالحـاح عليـه باعتبـاره محـور الرغبـة والبحـث، او بـالاحرى محـور التوازن المنشود (103).
- تؤشـر الرغبـة الجامحـة الـى المـاء فـي حـد ذاتهـا رغبـة المحافظـة علـى الحيـاة والخـوف مـن المـوت. وبهـذا يصـدق ذلـك القـول تـاريخ الخـارق هـو تـاريخ الخـوف (104).

وممـا تجـب الاشـارة اليـه ان الحكـايتين الكـراميتين السـابقتين مجـرد غـيض مـن فـيض، اذ تزخـر كتـب التـراجم والتصـوف -خاصـة التشـوف الـى رجـال التصـوف لابـن الزيـات، وأنـس الفقيـر وعـز الحقيـر لابـن قنفـذ.

والمنهاج الواضح في تحقيق كرامات ابي محمد صالح لابي محمد صالح، والمقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف لعبد الحق البادسي وغيرهم ممن تنبو عن ذكرهم هذه السطور الشحيحة -بجزئيات وتفاصيل حكايات كرامية لأولياء ورجال الصلاح يطوفون عبر أرجاء الزمان والمكان، يعلمون ما لا يعلمه احد، يعرفون ما في الارحام، يحيطون بكل صغيرة او كبيرة في حياة اتباعهم، لا يخفى عنهم ما يعلن هؤلاء وما يسرون، يتوقعون كل ما يمكن ان يحدث، يقدرون على تغيير مجرى الحوادث والاشياء، يشفون من الامراض المستعصية التي لا ينفع فيها علاج طبي، يحلون اعقد المشاكل التي يعجز عن حلها أصحاب العلم و الذكاء والقوة والدهاء، يستطيعون ان يطعموا جيشا بأكمله من رغيف واحد، في امكانهم ان يفجروا الينابيع من اناملهم او من الصخر، ان يستخرجوا الذ الطعام وافخره من الرمل وأن ينزلوه من السماء، ان يكونوا في حضرة من يشاؤون او ان يكون في حضرتهم من يريدون، أن يتخذوا الشكل او الحجم الذي يشتهون، أن يروضوا الحيوانات المفترسة وان يصاحبوا الجن، أن ينالوا كل ما يريدون في الوقت الذي يتمنونه، لا شيء خيرا كان او شرا.. هذه هي البركة التي ترويها الحكايات المتداولة عن كرامات الاولياء التي وسعت كل شيء (105).

10- الجهل بالحقيقة التاريخية

ممـــا لاجـــدال فيـــه أن المتـــون المصـــدرية بمختلـــف أنواعهـــا

للحصـــيلة الكرونولوجيـــة مطابقـــة أم غيـــر مطابقـــة للواقـــع صـــحيحة أم غيـــر صـــحيحة؟ أو بمعنـــى أخـــر هـــل الحصـــيلة الكرونولوجيـــة موســـومة بميســـم الأمانـــة الموضـــوعية أم أنهـــا تعرضـــت للتعـــديل، والقـــص، والتلصـــيق حتـــى تســـتقيم ومنطق السياق التاريخي؟

ســـؤال يجرنـــا إلـــى تأصـــيل الضـــوابط المتحكمـــة فـــي صـــيرورة المـــتن المصـــدري والتـــي يمكـــن حصـــرها فـــي عـــاملين متلازمـــين زمني ومكاني.

فالعامـــل الزمنـــي يثيـــر إشـــكالية تـــرتبط عضـــويا بمســـتوى تقعيـــد تاريخيـــة الحـــدث المـــراد توثيقـــه، أو بعبـــارة أخـــرى هـــل الإخبـــاري شـــاهد عيـــان وعلـــى إلمـــام، ودرايـــة شـــاملة بمجريـــات الحـــدث أو انـــه مـــن الأطـــراف الفاعلـــة فـــي صـــناعته وتأثيثه أو انه يجمع بين الأمرين معا؟

ويتفـــرع عـــن هـــذا الســـؤال ســـؤال آخـــر يحيـــل عليـــه ويكملـــه فـــي نفـــس الآن :هـــل الإخبـــاري صـــنف مـــن ذاكرتـــه، وخـــارج

منظومة الفعل التاريخي، أم أنه صنف هيكل القالب الحدثي على حساب ومسؤولية الغير ؟

بيد أن الإعتماد على رواية الغير من شأنها أن تثير سؤالا استفهاميا آخرا هل غربل رواية الغير أم انه استنسخها بطريقة ميكانيكية صرفة؟ هل راعى الفارق الزمني بين زمن كتابة الرواية وزمن وقوع الحدث الكامن فيه؟ إلى جانب هذا المستوى في ضبط "الحدث التاريخي" هناك مستوى آخر يقترن بمحتوى ومضمون "الحدث" في حد ذاته "فقد يكون النص منحولا ولكن معلوماته صحيحة وقد يكون غير منحول ولكن مليء بالأخطاء "(106) وهي معادلة تتطلب نوعا من الفطنة وحضور البديهة .

أما العامل المكاني فيطرح هو الآخر استفهامات عريضة هل الإخباري على بينة من جغرافية مفاصل المكان التي يدور عليها "الحدث"؟ أو بعبارة أخرى هل ينحدر من جغرافية المكان قلب الحدث أم انه مجرد زائر ليس إلا؟ إذا سلمنا جدلا انه يحمل هوية المكان فهل سجل الحدث بصدق و أمانة أم انه أضفى عليه مسحة ذاتية صرفة لا تخلو من ذبيب النعرة والتحيز؟ أما إذا كان مجرد زائر فهل نقل الحدث بعلاته، وبشفافية وموضوعية، وبعيدا عن الأهواء والشوائب الضيقة ؟

ويمكن أن نعمق السؤال أكثر لنتساءل من المسلم به أن كوكبة من الإخباريين المشارقة أفردوا صفحات لا يستهان بها عن تاريخ المغرب هل هذه الصفحات مطبوعة بطابع الأمانة والموضوعية؟ أم أنها تضج بالتحريف والتزوير؟ هذا مع الأخذ بعين الاعتبار أن

الإخباري المشرقي استشف "الحدث" عبر ثلاث قنوات أساسية إما عن طريق تسجيل رواية شفوية تتراوح والحالة هذه بين الصدق، والكذب أو عن طريق الاعتماد على مصادر متنوعة المشارب الاديولوجية وإما عن طريق المعاينة المباشرة.

من حصاد ما سبق يمكن القول أن منحى الأخطاء والهفوات التي تعتمل المتن المصدري صادرة إما عن جهل مطبق أو علم مقصود، وإما عن سهو مكشوف أو اختلاط وتضارب مفضوح، وحسبنا دليلا على تفاعل وتلاقح هذه المستويات مجتمعة نسوق أمثلة بيانية تأكد مشروعيته وصلاحية ما نذهب إليه.

* يتحدث ياقوت الحموي في كتابه معجم البلدان نقلا عن أبي الأصبع سعد الخير الأندلسي عن مدينة مكناس قائلا" وبالمغرب بلدة أخرى مشهورة يقال لها مكناسة الزيتون حصينة مكينة في طريق المار من فاس إلى سلا على شاطئ البحر، وفيه مرسى للمراكب و منها تجلب الحنطة إلى شرق الأندلس" (107).

* يتحدث الحسن الوزان عن إقليم تامسنا قائلا " وثار هذا الإقليم عن 323 للهجرة بتحريض داعية مبتدع يدعى حاميم بن من الله" (108).

* وفي مقام آخر يقول "وفي أيام أبي سعيد آخر ملوك بني مرين" (109).

نستشف من نسيج الأمثلة الانفة الذكر ملاحظتين أساسيتين :

- بما أن ياقوت الحموي نقل حرفيا إيماءة ابن الأصبع فهذا يعني أن كل خطا وقع فيه هذا الأخير إلا وقع هو

فيــه، كمــا أن الخطــأ ذاتــه سيســري مفعولــه علــى بقيــة المصــادر اللاحقــة، ولعــل مــن المفارقــات الغريبــة التــي تطفــو علــى الســطح لأول وهلــة هــي: لا يعقــل صــراحة أن تموقــع مكنــاس علــى شــاطئ البحــر وفــي نفــس الآن - وهــذا هــو بيــت القصــيد - تعتبــر مــن المواقــع الأكثــر شــهرة حســب مــا جاء في النص.

-كــل خطــا فــي البدايــة يقــود جــدليا إلــى خطــا فــي النهايــة، وهــذه القاعــدة العلميــة تنســحب علــى مصــنف الحســن الــوزان حيــث تتشــعب وتتــواتر خطــوط الأخطــاء والهفــوات علــى امتــداد فصــوله وأبوابــه، ولا أدل علــى ذلــك مــن عتبــة الهوامش التي ذيل بها.

غيــر أن توظيــف مظــان تاريخيــة رديفــة يتــيح إمكانيــة الوقــوف علــى صــلب وخبايــا الأخطــاء المنشــورة بــين طياتــه وهكــذا، فالصــواب حســب المــادة المصــدرية التــي تفيــد أن حــاميم المتنبــئ ظهــر بجبــال غمــارة قــرب تطــوان عــام 312 هــ أمــا تامســنا فثــارت بهــا قبائــل برغواطــة بزعامــة صــالح بــن طريــف عــام 127 هــ . أمــا بالنســبة لآخــر ملــوك الدولــة المرينيــة فهــو عبــد الحــق ابــن ســعيد الــذي ثــار عليــه الشعب و قتله عام 869 هـ_1465م.

خلاصــة الكــلام أن الأخطــاء والهفــوات التــي ســقط فــي كمــين حبالهــا الحمــوي والــوزان وغيرهمــا كثيــر تمثــل مجــرد غــيض مــن فــيض حيــث تــرزح معظــم المصــادر الكلاســيكية تحــت ســنابك المغالطــات، والمفارقــات، والمزالــق ناهيــك عن القصورو المحدودية والابتسار.

11- المؤلف المجهول

تـذيل قائمـة مـن المتـون المصـدرية التـي بـين أيـدينا بعنـوان "المؤلـف المجهـول"، ولا نملـك مـن الأدلـة الدامغـة، والبـراهين المنطقيـة أسـباب، وخلفيـات عـدول وعـزوف المؤلـف عـن ذكـر اسـمه ونسـبه- رغـم أن الاسـم في منظـور العلـوم الإنسـانية يـؤدي وظيفـة مزدوجـة تعيينيـة

أن عصـر المؤلـف بإفرازاتـه السوسـيو- اقتصـادية وتفاعلاتـه السياسـية، وتموجـاتـه الفكريـة حـال دون نقـش الاسـم والنسـب؟ مهمـا يكـن مـن أمـر الاجتهـادات والمحـاولات التـي تجشـم عناءهـا المحققـون للكشـف عـن مـؤلفي هـذا النـوع مـن المصـادر اعتمـادا علـى مقـاييس الأسـلوب والمـنهج فـان حصـاد المقاربـات تبقـى فـي نهايـة المطاف قاب قوسين أو أدنى من تأصيل هوية المؤلف.

ودون الاسترسـال فـي تقعيـد الأسـباب والخلفيـات الكامنـة وراء تغييـب الاسـم لا محيـد مـن تسـطير عنـاوين بعـض المتـون المصـدرية الأكثـر اسـتهلاكا عنـد عمـوم الدارسـين والباحثين.

* الاستبصـار فـي عجائـب الأبصـار : "اشـترك فـي تأليفـه مؤلفـان مجهـولان يعتبـر أولهمـا الواضـع للكتـاب ثـم قـام

بإخراجـــه –مـــع إضـــافات جديـــدة– كاتـــب ثـــاني يعنـــون زياداته بكلمة قال الناظر"(110).

* مفـــاخر البربـــر "لمؤلـــف يتـــرجح انـــه مغربـــي، وكـــان بقيـــد الحياة عام 712 هـ/1312م." (111)

* الـــذ

الحيا

* الحلـ

الاولـ

الـــبعض الـــى ابـــن ســـماك العـــامري، غيـــر انـــه مـــن المؤكـــد ان المؤلـــف كـــان يعـــيش اواخـــر المائـــة الهجريـــة الثامنـــة حيـــث يـــذكر اواخـــر الكتـــاب انـــه الفـــه يـــوم الخمـــيس 12 ربيـــع الاول 783 هـ / 1381م. (113)

* تـــاريخ الدولـــة الســـعدية التكمدارتيـــة ألفـــه صـــاحبه فـــي حدود عام 1090 هـ 1606م 1607 م

* ذكـــر بعـــض مشـــاهير أعيـــان فـــاس فـــي القـــديم "مؤلفـــه غيـــر مـــذكور، وينســـبه الـــبعض لإســـماعيل ابـــن الأحمـــر، علـــى أن الـــبعض ادمـــج فيـــه زيـــادات تتـــأخر عـــن عصـــر ابـــن الأحمر"(114).

* المغـــرب عـــن ســـير ملـــوك المغـــرب. فـــرغ منـــه صـــاحبه بالموصـــل في ذي القعدة سنة 599 هـ /1203م .(115).

* بلغـــة الامنيـــة ومقصـــد اللبيـــب فـــيمن كـــان بســـبتة فـــي الدولـــة المرينيـــة مـــن مـــدرس واســـتاذ وطبيـــب. وهـــو يوقـــت تـــاريخ الفـــراغ من التأليف في 26 صفر عام 820 هـ / 1417م . (116)

* الابتســـام عـــن دولـــة ابـــن هشـــام. مؤلفـــه غيـــر مـــذكور ويســـميه الـــبعض بـــإدريس الجعايـــدي. بينمـــا يـــذكر المؤلـــف انـــه انـــتظم فـــي ســـلك الكتـــاب فـــي الـــبلاط الرحمـــاني ســـنة 1254هـ. واخـــر تاريخ يشير اليه هو سنة 1266 هـ /1850 م .(117).

12- إشكالية الحديث النبوي

يحتضن المتن المصدري أحاديث نبوية معنعنة عن محاسن وفضائل المغرب وخصائصه ومميزاته، وهي أحاديث تطرح أكثر من علامة استفهام حول مسألة تطابقها وانسجامها مع المقاييس والمعايير المعمول بها من قبل أئمة الفقه، وعلماء الحديث والأصول.

من هذا المنظور يجمع اغلب رواة الحديث والأصول أن أقسام الحديث ثلاثة أنواع، الصحيح والحسن والضعيف. فالحديث الصحيح "هو المسند الذي يتصل إسناده بنقل العدل الضابط عن العدل الضابط قد ينتهي إلى رسول الله (ص) أو إلى منتهاه من صحابي أو من دونه، ولا يكون شاذا ولا معللا"(118).

والحديث الحسن "هو ما اتصل سنده بنقل عدل خفيف الضبط، وسلم من الشذوذ و العلة "(119).

أما الحديث الضعيف فهو "ما لم يجتمع فيه صفات الصحيح ولا صفات الحسن"(120).

إن هذا التقسيم الثلاثي وما ينصهر في بؤرته من أحوال ترتبط بالراوي والمتن يجرنا إلى إثارة سؤال مركزي، هل الأحاديث المنسوجة حول المغرب من صنع خيال المؤرخ التقليدي الذي يتفنن في الغالب الأعم على اقتناص الترهات والأكاذيب والركوب عليها لغرض في نفس يعقوب؟

أم أنها أحاديث تستقيم وتتسق والمعايير الضابطة المعمول بها؟ جواب هذا السؤال يتوقف على جرد عينة منها ثم مناقشتها على ضوء التقسيم الطبيعي المتفق عليه.

- روي عن رسول الله (ص) انه قال "لا تزال طائفة من أمتي بالمغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة"، ومن ذلك ما أخرجه مسلم في صحيحه عن سعد بن أبي وقاص أن رسول الله (ص) قال: لا يزال أهل المغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة " (121).

- وفي المصنفات الصحاح من رواية سعد بن أبي وقاص وغيره أن رسول الله (ص) قال "لا يزال أهل المغرب ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم أو خذلهم حتى تقوم الساعة" (122).

- روي عن عمر بن الخطاب قال: "كنت مع حبيبي رسول الله (ص) في
بعـ
قال
الـ
بقـ
يتـ
بها .(123).

- وعن النبي (ص) انه قال: "ان لله انصارا ولذريتي، فأنصاري الانصار الذين أووا ونصروا وانصارا ذريتي البربر أووهم وبروا واكرموا" .(124)

- وروي ان فاطمة بنت رسول الله (ص) امرت جارية لها ان تتصدق بصدقة فقالت لها: اذا قبلت الصدقة منك فاسألي الذي يأخذها منك، من هو وفي أي بلد مسكنه؟ قال فخرجت الجارية بالصدقة فقالت: من يقبل صدقة ال رسول الله (ص) فقام رجل فقال لها انا موضع صدقة ال رسول الله (ص) فقالت له من اين انت؟ وفي أي بلد مسكنك؟ قال لها: انا من ولد بر فأعطته الصدقة ورجعت مسرعة الى فاطمة رضي الله عنها، فأخبرتها فقالت: اخذ الصدقة ال رسول الله (ص) رجل من البربر فقالت لها علي بالرجل فلحقته الجارية وقد بلغ اقصى المسلك فقالت له: ايها الرجل ان فاطمة بنت رسول الله (ص) تسأل عنك فرجع البربري خائفا وجلا وهو يقول: قد بدا لها فيالصدقة امر فلما وقف على الباب كشفت القناع عن وجهها وهي باكية وهي تقول : لكل نبي حواري، وحواري ذريتي البربر، اني سمعت رسول الله (ص) يقول يا فاطمة سيقتل الحسن والحسين ويقتلونهم ويجلون اولادهم العرب ويؤونهم البربر، فيا معشر من فعل بهم ذلك، وطوبى لقوم يؤونهم ويحبونهم ويكرمونهم ويعزونهم".(125)

- (... ويكفي من فضلها وشرفها ما ورد عن النبي(ص)فانه وجد في كتاب دارس بن إسماعيل المكنى بابي ميمونة بخط يده رحمة الله تعالى: حدثني علي بن أبي مطر بالإسكندرية قال حدثني محمد بن إبراهيم بن الموازعن عبد الرحمان بن القاسم عن مالك بن انس عن محمد بن شهاب الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي(ص) انه قال تكون بالمغرب مدينة تسمى فاس أقوم أهل المغرب قبلة، وأكثرهم صلاة، أهلها على السنة والجماعة ومنهاج الحق، لا يزالون متمسكين به، لا يضرهم من خالفهم، يدفع الله عنهم ما يكرهون إلى يوم القيامة "(126).

-- جاء في كتاب المنهل الأصفي للسيد أبي عبد الله محمد بن علي ابن أبي الشريف التلمساني حكاية عن الشيخ المنصور بن علي اللجائي عن أبيه وغيره وشيوخه قال : " إنما كانت المصامدة فيهم بركة لأنه وفد منهم رجل على رسول الله (ص) قال الحاكي عن منصور : هكذا سمعته يقول رجل وذكرته لمن يفتني بالعلم والخير من المصامدة فقال: بل هما رجلان، وسألته عن أسمائهما فقال لا أدري، ولكن شيوخنا أخبرونا بأنهما رجلان، وذكر لي قوم أنهم سبعة وأن قبورهم موجودة إلى الآن ثم ذكر تتمة الحكاية عن منصور بدخول [الرجل] على رسول الله (ص). فسأل عنه بلسانه البربري ولم يكن يعرف العربية وأجابه الرسول عليه الصلاة والسلام بمثل لسانه ثم لازال يجيبه عما يقول بلغته البربرية حتى أسلم وبايع وانصرف لقومه ولم يفهم القوم شيئا مما كان يقول فأخبرهم النبي (ص) بقدومه وبلغته وقومه".

أقول والصحيح أنهم سبعة كما ذكر القوم، وقد تصدى عددهم ووفودهم على رسول الله(ص) غير واحد من الأئمة الأكابر، وكلهم ذكروا كلامهم مع النبي (ص) بلغتهم وجوابه لهم بمثلها وعينوا مدافنهم وأسمائهم

وأنهم المعروفون الآن برجال رجراجة القاطنين ببلاد حاحة ولهم فضل مشهور يقصدهم الناس للزيارة من كل فج عميق في كل فصل من فصول السنة، ولاسيما في فصل الربيع يكون الزوار في غاية الفرحة ويتلقاهم أهل كل زاوية من زوايا رجراجة بالضيافة والإكرام وهكذا إلى الآن. ونسبة الصحبة لهم نفعنا الله بهم شائعة ذائعة على ألسنة الناس خصوصا عند [أهل] بلاد ركراكة عموما عند غيرهم.

قال الفقيد السيد الكبير بن عبد الكريم ابن حريرة الشاوي المراكشي في جواب له في أحوال هؤلاء الرجال رضي الله عنهم : " فأما سيدي أبوبكر بن شماس فمدفنه بساحل الشياظمة ببلاد أيت عيسى ويقال لهم أيضا أولاد عيسى والموضع يعرف بأقرمود، وولده سيدي صالح معه في روضة واحدة، وأما سيدي وسمين فمدفنه بجبل الحديد بمعظم بلاد الشياظمة، أما سيدي أبو عبد الله أدناس فمدفنه ببلاد التوابت، وسيدي يعلي بن واطل فمدفنه برباط شاكر بالمعمورة وهو أبو سيدي شيكر المنسوب إليه الرباط المذكور. ومازال الناس بمراكش ورستاقها وأعمالها يقصدون هذا الرباط في ليلة السابع والعشرين من رمضان يحضرون لختم القرآن بجم غفير من أخلاط الناس، وبين الرباط المذكور ومراكش مسيرة يوم، ثم سيدي سعيد بن أبي يبقى مدفنه بطالعة الشياظمة ويقال لمحل دفنه تمازت، ثم سيدي عيسى بوخابية مدفنه على طرف وادي تانسيفت بالقرب من سيدي عبدالله أدناس والله اعلم". (127)

إن تبويب و تصنيف هذه الأحاديث والروايات وفق معايير أئمة الفقه، وعلماء الحديث والأصول مغامرة لا

تخلو من صعوبات وعراقيل، لذلك سنكتفي بإثارة بعض الملاحظات:

- إن الحديث الأول جاء بصيغة مبنية للمجهول، وهذا يعني انتفاء منهج الإسناد الذي يعتبر العمود الفقري للتمييز بين الحديث الصحيح والضعيف، بل تعدد رواياته يضفي عليه طابع الاضطراب، وهي "على تعددها متساوية متعادلة لا يمكن ترجيح إحداها بشئ من وجوه الترجيح" (128)، كما أن صيغة "وغيره" المتعلقة بحديث متعدد الروايات تفيد الإبهام والغموض في بعض حلقات السند، واختلاف روايات الحديث عينه، وسقوط حلقاته في السند كناية على انه حديث ضعيف يجمع بين صفات المنقطع والمضطرب.

- إن الحديث الذي يصف فضائل مدينة فاس لا يخرج عن سياق الأحاديث الضعيفة الشاذة، ومنشأ شذوذه يكمن في الانفراد والمخالفة. لكن إذا ظهر السبب بطل العجب، فصاحب روض القرطاس الذي انفرد بهذا الحديث لا يبطن إعجابه الشديد، وهيامه المفرط بمدينة فاس إلى درجة افتعال الأحاديث النبوية واصطناعها، فلا عجب والحالة هذه أن يطنب ويستفيض في تتبع جزئيات وتفاصيل تاريخها وجغرافيتها، ومحاسنها وأفضالها ، ومياهها وأنهارها، بل أكثر من ذلك ينتقي ابلغ عبارة، وأروع بيان، وأشرق كلم، للبرهنة على فرادة وتميز المدينة.

- إن الأحاديث التي تصف مفاخر البربر وفضائله، وكبريائه الخصوصي لا تخرج عن سياق الأحاديث الموضوعة المنتحلة، إذ لم تثبت روايتها عن الرسول (ص) أصلا في كتب الصحاح، ولعل مصدر افتعالها وانتحالها يكمن قلبا وقالبا في إقامة الدليل والحجة على

شرعية الأهداف المرسومة وتبرير الأعمال المنجزة والأفعال المحتملة. وفي نفس المنحى يصُب الحديث المسند للرسول (ص) عن رواية فاطمة بنت محمد (ص) إذ ليس ثمة ما يؤيد ثبوته في الكتب الصحيحة وينسحب الحكم ذاته على الحديث المسند للرسول (ص) عن رواية عمر بن الخطاب فهو حديث تنم مضامين تركيبته على أس الانتحال والافتعال، وتخفي نتوء خلفياته أبعادا اديولوجية محضة.

وقوع الحدث الكامن فيها، وهذا في حد ذاته قرينة دامغة، وحجة قاطعة على الشكوك والاستفهامات التي تحوم حول صحة وصدق المعلومات الثاوية في ثنايا تجاويفها. ففضلا عن الصمت المطبق للحوليات التاريخية الباكرة والتي أضفت مزيدا من الصعوبة والتعقيد، تنضاف أراء بعض الكتابات الحديثة التي شددت على زيف هذه الرواية، واعتبرتها مجرد هلوسات مصطنعة وهرطقات كلامية ليس إلا.

- ينطمر وراء سطور الرواية شكل من أشكال التعبير المستتر بأسبقية اعتناق برير رجراجة للإسلام، واشاعته بين قبائل المغرب، وفي ذات الآن – وهذا هو بيت القصيد - الفوز بشرف التملي بطلعة الرسول (ص)، وهو ما يمنح لرجالات رجراجة السبعة جرعات رمزية مشحونة بمسوح الولاية والصلاح والبركة

والـــورع، وغيـــر ذلـــك مـــن المســـوح التـــي تمـــتح مفاهيمها وأصولها من الزمن القدسي

- يستشـــف مـــن نســـيج كتـــب الســـيرة النبويـــة **انتفـــاء**

الوفد المغربي للرسول (ص)؟.

- وبالمثـــل لـــم تنـــبس النصـــوص المنقبيـــة الوســـيطية **ببنـــت شـــفة** فـي موضـــوع مـــن الأهميـــة بمكـــان كمـــا هـــو الحـــال بالنســـبة لكتـــاب التشـــوف الـــذي مـــارس مؤلفـــه القضـــاء بـــأرض رجراجـــة، وحـــوت نتوءاتـــه مـــادة ضـــخمة عـــن رجـــالات الولايـــة والصـــلاح والتصـــوف فهـــل إعـــراض كتـــاب التشـــوف علـــى التـــأريخ لســـيرة حيـــاة رجالاتهـــا يـــنم علـــى الـــولاء المـــذهبي، والميـــول السياســـية لصـــاحبه ســـيما وقبيلـــة رجراجـــة تبـــوب فـــي خانـــة القبائـــل المغضـــوب عليهـــا، وأنهـــا قاومـــت الحكـــم الموحـــدي منـــذ قيامـــه بصـــفة قـــارة متقطعـــة بـــالطبع (129)، أم أن مـــا يســـمى بالطائفـــة الرجراجيـــة مجـــرد كيـــان وهمـــي مـــن نســـيج خيـــال المصـــادر المتـــأخرة، ولـــيس ثمـــة مـــا يعضد حقيقة وجودها في المصادر القديمة.

ويتفـــرع عـــن هـــذه الاســـتفهامات، اســـتفهامات أخرى تلقي عليها المزيد من الأضواء

- هـل تـأخر انتشـار الإسـلام في بـلاد المغـرب إلـى زمـن (الفتوحـــات) الإســـلامية يعـــزز فرضـــية زيـــف الروايـــة اذ لـــو تحقـــق الامـــر فعـــلا لمـــا انتشـــر الإســـلام علـــى الأقـــل فـي أرض رجراجـــة، وهـــو مـــا لـــم تثبته **المظان** التاريخية الباكرة.

- ❖ هل تضمين متن الرواية لجهاز لسني أمازيغي في فعل التواصل بين المرسل (الوفد المغربي) والمتلقي (الرسول ص) ينهض قرينة على هشاشة الرواية وزيفها سيما وكتب السيرة والتراجم لم تذكر بالمرة أن المتلقي كان على علم ودراية وبينة بابجديات اللغة الأمازيغية.
- ❖ هل وسم الطائفة لنفسها برجالات رجراجة السبعة ينم في عمقه وجوهره على تمثل وتجسيد للزمن القدسي بالنظر للصفة الرمزية والقدسية التي يعبر عنها الرقم سبعة في الوعي الجمعي الإسلامي.
- ❖ هل معنى تسمية رجراجة وماتحمله من دلالات البركة يمنح شرعية الوجود الفعلي للطائفة بغض النظر عن الشوائب التي تتخلل مسار تاريخ كيانها .

خلاصة القول ان لائحة الاحاديث والروايات الانفة الذكر موضوعة ومنتحلة، اوكما يرى الفقهاء ان كل ما خرج عن السنن الصحيح، وخرق قوانين التحديث، وتمرد على قوانين التعديل والتجريح بدعة وضلالة، وكذب وبهتان (130).

خاتمة

مهما يكن من أمر القضايا، والإشكاليات التي تتخلل المصادر التقليدية القديمة فإنها تبقى في نهاية المطاف السند المرجعي الذي لا غنى عنه للمهتم التواق إلى بلورة تصور أولي، أو سبك فرضية معينة، كما أن محدودية، وقصور قيمتها التاريخية لا يعني ضرورة الطعن في نسغها المنهجي وإقصائها من حلبة البحث التاريخي، بل ينبغي الحفر، والنبش في ثنايا تجاويفها لاستبطان ما تختزنه من معطيات اقتصادية واجتماعية وثقافية على قلتها، مع تفادي السقوط في دوامة التأويل البعيد الذي يفضي إلى خلاصات مبتورة، واستنتاجات ناقصة.

الهوامش

(1) العربي كنينح: دراسات في تاريخ المغرب. مطبعة اميمة فاس 2003. ص 8

(2) ابن ابي زرع الفاسي: الانيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس تحقيق عبد الوهاب بنمنصور الرباط 1972 ص14

(3) العربي كنينح: م.س ص 8

(4) العربي كنينح: م.س ص 8

(5) الحسن الجزنائي: جني زهرة الاس في بناء مدينة فاس تحقيق عبد الوهاب بنمنصور المطبعة الملكية الرباط 1984 ص 98

(6) العربي كنينح: م.س ص 9

(7) ابراهيم القادري بوتشيش: من التاريخ السلطاني الى تاريخ المهمشين: نظرات في تحديد الادوات المنهجية للمؤرخ. مقال منشور ضمن دراسة المجالات الاجتماعية المهمشة وتاريخ المغرب منشورات مختبرات ط 2011. ص 59

(8) ابن ابي زرع: م.س ص 172-173

(9) عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص اخبار المغرب. ضبطه وصححه محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي ط 7 1963 ص 289

(10) محمود اسماعيل: المهمشون في التاريخ الاسلامي: دار رؤية للنشر ط 1. القاهرة 2004 ص 14

(11) ليفي بروفنصال: مؤرخو الشرفاء. تعريب عبد القادر الخلادي. مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر. الرباط ط 1 1977 ص48

(12) ابراهيم حركات: تحريف التاريخ وانحراف العقيدة. منشورات النهضة ط 1 / 1981 ص 30

(13) محمد عابد الجابري: التاريخ والفلسفة. مجلة اقلام العدد 3 ص 32

(14) محمد عابد الجابري: ن.م ص 32

(15) ابراهيم حركات: م. س ص 30

(16) ابراهيم حركات: م. س ص 30-31

(17) ابراهيم حركات: م. س ص 31

(18) عبد اللطيف حسني: الملك ملتهم التاريخ. مجلة وجهة نظر. عدد مزدوج 40- 41 / 2009 ص 2

(19) ليفي بروفنصال : م.س ص 52

(20) ليفي بروفنصال : م.س ص 52

(21) ليفي بروفنصال :م.س ص 52

(22) ابن القطان : نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان. درسه وقدم له وحققه محمود علي مكي. دار الغرب الاسلامي. بيروت. ط 1 / 1990 ص 38 .

(23) نفسه ص 81 .

(24) نفسه ص 48

(25) نفسه ص 93

(26) نفسه ص 181

(27) نفسه ص 97

(28) نفسه ص 98

(29) نفسه ص 48

(30) مايا تشاتز ميلر : المؤرخون والسلطة في المغرب. منشورات الجمعية المغربية لعلم الاجتماع السياسي. تعريب محمد شقير ومحمد ضريف ص 60

(31) الحسن بن مرزوق: المسند الصحيح الحسن في مأثر ومحاسن مولانا ابي الحسن. دراسة وتحقيق ماريا خسوس بيغيرا. الشركة الوطنية التوزيع والنشر الجزائر ط 1 / 1981 ص 42

(32) عبد العزيز الفشتالي : مناهل الصفا في مأثر موالينا الشرفا دراسة و تحقيق عبد الكريم كريم. مطبوعات وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية الرباط ص 4 .

(33) نفسه ص 4

(34) نفسه ص 182

(35) ليفي بروفنصال: م. س ص 81

(36) عبد العزيز الفشتالي : م . س ص 201

(37) عبد العزيز الفشتالي : م . س ص 25

(38) عبد العزيز الفشتالي : م . س ص 25

(39) ليفي بروفنصال : م. س ص 50

(40) ليفي بروفنصال : م. س ص 50

(41) عبد الوهاب بمنصور : مؤرخو الدول بين الامانة التاريخية والالتزامات الوظيفية. مجلة المناهل العدد 36 / 1987 ص 17 .

(42) ليفي بروفنصال : م. س ص 136.

(43) أحمد الشرقاوي اقبال : معلمة المغرب ج 2 ص 632 .

(44) أحمــد الكنسوســي / الجــيش العرمــرم الخماســي فــي دولــة أولاد مولانــا علــي السجلماســي . تقــديم و تحقيــق أحمــد بــن يوســف الكنسوســي . المطبعــة والوراقــة الوطنيــة مــراكش بــدون تــاريخ ج 1 ص12.

(45) أحمد الكنسوسي : م. ن. ج 2 ص 62 -63.

(46) أحمد الكنسوسي: م. ن. ج 2 ص 80 .

(47) أحمد الكنسوسي: م.ن.ج 1 ص 125.

(48) أحمد الكنسوسي : م. ن. ج 2 ص 20 .

(49) عبــد الواحــد المراكشــي : المعجــب فــي تلخــيص أخبــار المغــرب . صــححه و علــق عليــه محمــد ســعيد العريــان. ومحمــد العربــي العلمي. دار الكتاب البيضاء ط 1 / 1978 ص 200

50)

51)

52)

53)

البيضاء . ط 1 / 1979 ص 15 ومابعدها.

(54) نفسه ص 187-188.

(55) نفسه ص 13 .

(56) محمــد الصــغير الافرانــي : نزهــة الحــادي بأخبــار ملــوك القــرن الحــادي .تقــديم و نحقيــق عبــد اللطيــف الشــاذلي. مطبعــة النجاح الجديدة البيضاء 1998 . ص 104-105 .

(57) وجيــه كــوثراني: بعــض خصــائص الكتابــة التاريخيــة عنــد العرب . مجلة الفكر العربي عدد 2 / 1978 ص 79 .

(58) محمد الصغير الافراني : م.س ص 130 .

(59) ليفي بروفنصال : م.س ص 52 .

(60) ليفي بروفنصال : م س ص 52 .

(61) مــؤرخ مجهــول : تــاريخ الدولــة الســعدية التكمدارتيــة . تقــديم وتحقيــق عبــد الــرحيم بــن حــادة . الناشــر عيــون المقــالات ط 1 / 1994 ص 69 .

(62) مؤرخ مجهول : م.ن ص 39 .

(63) مؤرخ مجهول : م.ن ص 70 .

(64) عبد الوهاب بن منصور : م.س ص 17 .

(65) مؤرخ مجهول : م.س ص 8 .

(66) ليفي بروفنصال : م.س ص 51 .

(67) ابـــن عـــــذاري المراكشـــي : البيـــان المغـــري فـــي أخبـــار الانـــدلس والمغـــرب. تحقيـــق ومراجعـــة. ج. كـــولان وليفـــي بروفنصـــال. دار الكتاب العلمية بيروت ط 1 / 2009 ص 20 .

(68) محمـــود اســـماعيل : الاســـطوغرافيا و الميثولوجيـــا . رؤيـــا للنشـــر والتوزيع ط 1 / 2008 ص 21 .

(69) نفس

(70) نفس

(71) ال

(72) الح

(73) مح

مجلة الزمان المغربي عدد 11 / 1982 ص 16-17

(74) ابـــراهيم القـــادري بوتشـــيش : تـــاريخ الغـــرب الاســـلامي قـــراءات جديـــدة فـــي بعـــض قضـــايا المجتمـــع و الحضـــارة. دار الطليعـــة بيروت ط 1/ 1994 ص 124-125

(75) الســـيد عبـــد العزيـــز ســـالم : المغـــرب الكبيـــر : العصـــر الاســـلامي دراســـة تاريخيـــة وعمرانيـــة واثريـــة. دار النهضـــة العربيـــة بيـــروت 1981 ج 2 ص 220

(76) نفسه ص 122

(77) ابراهيم حركات : م. س ص 26

(78) ابـــن حوقـــل : صـــورة الارض. منشـــورات دار مكتبـــة الحيـــاة بيـــروت ص 73-74

(79) محمـــود اســـماعيل : الخـــوارج فـــي بـــلاد المغـــرب حتـــى منتصـــف القرن الرابع الهجري. دار الثقافة البيضاء 1985 ص 13

(80) محمـــد بـــن عبـــد المجيـــد خـــان : الاســـاطير والخرفـــات عنـــد العـــرب. دار الحداثة بيروت. ط 2/ 1980 ص 17

(81) ابن ابي زرع : م.س ص 49

(82) نفسه ص 50

(83) محمـــود اســـماعيل : الادارســـة فـــي المغـــرب الاقصـــى (172 – 375) حقـــائق جديـــدة . مكتبـــة الفـــلاح للتوزيـــع والنشـــر الكويـــت ط 1 / 1989 ص 59

(84) حســـن شـــرقاوي : معجـــم الفـــاظ الصـــوفية. مؤسســـة مختـــار. القاهرة ط2 /1992 ص 154

(85)نفسه ص 155

(86)نفسه ص 156

(87)عبد الواحد المراكشي : م.س ص 267-268

(88)البيدق : اخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين. دار المنصور للطباعة والوراقة الرباط 1971 ص 14-15

(89)حسن شرقاوي :م.س ص 130

(90)Dictinnaire des symboles. Sous la direction de jea chevalier avec la colloborationdealaingherbant robert laffon p1

(91) عبد الواحد المراكشي :م.س ص 260-261

(92) محمد مفتاح :م.س ص 13

(93) محمد مفتاح :م.س ص 13

(94) محمد مفتاح :م.س ص15

(95) محمد مفتاح :م.س ص 15

(96) محمد مفتاح :م.س ص 15

(97) ابراهيم القادري بوتشيش : الاسلام السري في المغرب العربي . سينا للنشر القاهرة ط1 / 1995 ص 135

(98) ابن الزيات التادلي : التشوف الى رجال التصوف واخبار ابي العباس السبتي. احمد التوفيق . منشورات كلية الاداب والعلوم الانسانية الرباط ط1 /1984 ص 210

(99) محمد مفتاح :م.س ص16

(100) ابراهيم القادري بوتشيش :م.س ص 139

(101) الميلودي شغموم : المتخيل والقدسي في التصوف الاسلامي : الحكاية و البركة . منشورات المجلس البلدي لمدينة مكناس . مطبعة فضالة ط 1/ 1991 ص 20

(102) ابن الزيات التادلي :م.س ص 235

(103) محمد مفتاح :م.س ص 22

(104) محمد مفتاح :م.س ص 24

(105) الميلودي شغموم :م.س ص 47

(106) محمد زنيبر : الاسلام منذ الانطلاقة الاولى الى نهاية الدولة الاموية . وثائق ونصوص . مطابع المغرب الكبير الرباط 1973 ص 23

(107) ابراهيم حركات :م.س ص 26

(108) الحسن الوزان : وصف افريقيا . ترجمه عن الفرنسية محمد حجي و محمد الاخضر . منشورات الجمعية المغربية للتأليف و الترجمة والنشر الرباط ط 1 / 1980 ص 154

(109) نفسه ص 166

(110) محمد المنوني : المصادر العربية لتاريخ المغرب . منشورات كلية الاداب و العلوم الانسانية الرباط 1983 . ج1 ص 44

(111)

(112)

(113)

(114)

(115)

(116) نفسه ص 188

(117) نفسه . ج2 ص 16

(118) صبحي الصالح : علوم الحديث و مصطلحه . دار العلم بيروت ط1 / 1959 ص 145

(119) نفسه ص 156

(120) نفسه ص 165

(121) ابن عذاري المراكشي :م.س ص 6

(122) علي الجزنائي :م.س ص 5

(123) مؤرخ مجهول : مفاخر البربر . دراسة وتحقيق عبد القادر بوباية دار ابي رقراق للطباعة والنشر . ط1 / 2005 ص 181-180

(124) نفسه ص 182

(125) نفسه ص 183-182

(126) ابن ابي زرع :م.س ص 15

(127) ابو الربيع سليمان الحوات : الروضة المقصودة و الحلل المدودة في مآثر بني سودة .دراسة و تحقيق عبد العزيز تيلاني . مطبعة النجاح الجديدة ج 1 / ط 1 / 1994 ص 276 – 277-278 .

(128) صبحي الصالح :م.س ص 187

(129) محمد القبلي : الدولة و الولاية و المجال في المغرب الوسيط : علائق و تفاعل . دار توبقال للنشر ط 1 / 1987 ص 22

(130) محمد مفتاح :م.س ص 15

لائحة المصادر والمراجع

1 – المصادر :

- علي الجزنائي : زهرة الاس في بناء مدينة فاس. المطبعة الملكية الرباط 1972
- عبد الواحد المراكشي : المعجب في تلخيص اخبار المغرب صبطه وصححه محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي دار الكتاب البيضاء ط 7/ 1978
- ابن ابي زرع الفاسي : الانيس المطرب بروض القرطاس في اخبار المغرب وتاريخ مدينة فاس راجعه عبد الوهاب بنمنصور .المطبعة الملكية الرباط ط2 /1999
- البيدق : اخبار بن تومرت وبداية دولة الموحدين دار المنصور للطباعة الرباط 1971
- ابن حوقل : صورة الارض .منشورات دار مكتبة الحياة اليومية بيروت بدون تاريخ
- الحسن الوزان : وصف افريقيا ترجمه عن الفرنسية محمد حجي ومحمد الاخضر. منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر الرباط ط1 /1980
- ابن عذاري المراكشي : البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب. تحقيق ومراجعة ج. كولان و ليفي بروفنصيال دار الكتب العلمية بيروت ط 2009/1
- محمد الصغير الافراني : نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي تقديم وتحقيق عبد اللطيف الشاذلي. مطبعة النجاح الجديدة البيضاء 1998
- مؤرخ مجهول : تاريخ الدولة السعدية التكمدارتية .تقديم وتحقيق عبد الرحيم بنحادة الناشر عيون المقالات ط1994/1
- عبد العزيز الفشتالي : مناهل الصفا في مأثر موالينا الشرفا. دراسة وتحقيق عبد الكريم كريم. مطبوعات وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية الرباط 1982
- ابن الزيات الشاذلي : التشوف الى رجال التصوف واخبار ابي العباس السبتي. تحقيق احمد التوفيق منشورات كلية الاداب والعلوم الانسانية الرباط ط1 / 1984
- مؤرخ مجهول : مفاخر البربر دراسة وتحقيق عبد القادر بوباية دار ابي رقراق للطباعة والنشر ط 1 /2005
- أحمد الكنسوسي / الجيش العرمرم الخماسي في دولة أولاد مولانا علي السجلماسي. تقديم وتحقيق أحمد بن يوسف الكنسوسي. المطبعة والوراقة الوطنية مراكش بدون تاريخ.

- ابن القطان : نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان. درسه وقدم له وحققه محمود علي مكي. دار الغرب الاسلامي. بيروت. ط 1 / 1990.
- الحسن بن مرزوق : المسند الصحيح الحسن في مأثر ومحاسن مولانا ابي الحسن. دراسة وتحقيق ماريا خسوس بيغيرا. الشركة الوطنية التوزيع والنشر الجزائر ط 1 / 1981.
- مؤلف مجهول : الحلل الموشية في ذكر الاخبار المراكشية. حققه سهيل زكار وعبد القادر زمامة. دار الرشاد الحديثة البيضاء . ط 1 / 1979.
- ابو الربيع سليمان الحوات : الروضة المقصودة والحلل الممدودة في مأثر بني سودة. دراسة وتحقيق عبد العزيز تيلاني. مطبعة النجاح الجديدة ج 1 / ط 1 / 1994.

المراجع :

- العربي كنينح : دراسات في تاريخ المغرب. مطبعة اميمة فاس ط2008/1
- محمود اسماعيل : المهمشون في التاريخ الاسلامي. دار رؤية للنشر القاهرة ط2004/1
- محمود اسماعيل : الاسطوغرافيا والميتولوجيا. رؤيا للنشر والتوزيع القاهرة ط2009/1
- محمود اسماعيل : الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن 4 هـ دار الثقافة البيضاء ط1985/1
- محمود اسماعيل : الادارسة في المغرب الاقصى (172-375) حقائق جديدة. مكتبة الفلاح للتوزيع والنشر الكويت ط1989/1
- ابراهيم القادري بوتشيش : تاريخ الغرب الاسلامي : قراءات جديدة في بعض قضايا المجتمع والحضارة دار الطليعة بيروت ط 1 / 1994
- ابراهيم القادري بوتشيش : الاسلام السري في المغرب العربي سينا للنشر ط1995/1
- ليفي بروفنصيال : مؤرخو الشرفاء، تعريب عبد القادر الخلادي مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر الرباط ط1977/1
- ابراهيم حركات : تحريف التاريخ وانحراف العقيدة منشورات النهضة ط1/ 1981

- الميلودي شغموم : المتخيل والقدسي في التصوف الاسلامي : الحكاية والبراكة منشورات المجلس البلدي، مكناس مطبعة فضالة ط1991/1
- السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير : العصر الاسلامي دراسة تاريخية وعمرانية والرية دار النهضة العربية بيروت ط1981/1
- محمد بن عبد المجيد خان : الاساطير والخرفات عند العرب دار الحداثة بيروت ط1980/2
- حسن شرقاوي : معجم الالفاظ الصوفية مؤسسة مختار القاهرة ط1992/2
- محمد زنيبر : الاسلام منذ الانطلاقة الاولى الى نهاية الدولة الاموية : و ثائق ونصوص مطابع المغرب الكبير ط1973/1
- محمد المنوني : المصادر العربية لتاريخ المغرب. منشورات كلية الاداب والعلوم الانسانية الرباط ط1983/1
- صبحي صالح : علوم الحديث ومصطلحه دار العلم بيروت ط1959/1
- محمد القبلي : الدولة والولاية والمجال في المغرب الوسيط : علائق و تفاعل. دار توبقال للنشر ط 1 / 1987.
- مايا تشاتز ميلر : المؤرخون والسلطة في المغرب. منشورات الجمعية المغربية لعلم الاجتماع السياسي. تعريب محمد شقير ومحمد ضريف.
- مجموعة من المؤلفين : دراسة المجالات الاجتماعية المهمشة وتاريخ المغرب. منشورات المختارات ط2011/1

3- المجلات والدوريات

- محمد عابد الجابري : التاريخ والفلسفة. مجلة اقلام العدد 3 /1970
- عبد اللطيف حسني : الملك ملتهم التاريخ. مجلة وجهة نظر عدد مزدوج 40-2009/41
- وجيه كوثري : بعض خصائص الكتابة التاريخية عند العرب. مجلة الفكر العربي عدد 1978/2
- عبد الوهاب بنمنصور : مؤرخو الدول بين الامانة التاريخية والالتزمات الوظيفية مجلة المناهل العدد1987/36
- محمد مفتاح : الرمز – الوظيفة – الفعالية في الكتابة الصوفية مجلة الزمان المغربي عدد 1982/11.
- Dictionnaire des symboles : sus les directions de JEAN CHEVALIER AVEC LA COLLOBORATIONDE ALAIN CGHERRBANT ET ROBET LAFFON

الفهرس

وعند ...

المصا ...

فـي ...

في ما صدر له بعد ذلك من مقالات ودراسـات، فإنه يضع بذلك أصبعه على مشـكل يؤرق الباحثيـن ويجعلهم وجها لوجه أمام سـؤال جوهري هل يمكن التصديق جملة وتفصيلا بما ورد في المصادر من معطيات؟ وهو سـؤال يقتضي الجواب عنه ضرورة الإنكباب على تلـك المصادر وتفحصها بخبـرة الدارس المدقق المتمعن المدرك لقيمـة الكلمات والإصطلاحات وطرق التعبير، كما يتطلب الأمر إخضاع ماورد بين دفتيها من معطيات للمقابلة والنقد، سـعيا إلى اكتشـاف خط تطور الأحـداث، والبحث في تاريخ القوى التـي غذت ذلك التطور وأمدتـه بعناصر الحيوية والإستمرار .

الدكتور بوجمعة رويان

أستاذ التاريخ المعاصر

بجامعة ابن طفيل بالقنيطرة

30 درهما

CTP & Impression : Imprimerie Rabat Net Maroc